Foundation for Diversity, Solidarity and Human Dignity
adyan
مؤسسة التنوع والتضامن والكرامة الإنسانية

مؤمنون ومؤمنات على دروب الخير العامّ

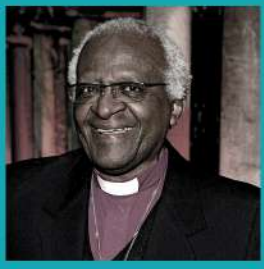

Foundation for Diversity, Solidarity and Human Dignity
adyan
مؤسسة للتنوع والتضامن والكرامة الإنسانية

مؤمنون ومؤمنات
على دروب الخير العام

الفهـــــــــــــــرس

الأخـــت إيمـــانويل ---------- ١

جـــودت سعيـــد ---------- ١٢

المِطْران غريغوار حداد ---------- ٢١

ربـــاب الصـــدر ---------- ٣٢

أسمـــاء المرابـــط ---------- ٥٢

كريستيان دي شيرجي ---------- ٦٢

ديزمونـــد توتـــو ---------- ٧٢

دوم هلـــدر كامـــارا ---------- ٨٤

فريـــد إسحـــاق ---------- ٩٤

محمـــد يـــونس ---------- ١٠٣

خـان عبـد الغفـار خـان ---------- ١١٠

مقدمـــــــــة

في هذا الكتيّب، الذي يحكي سيرة اثنتَي عشرة شخصية معاصرة، نسلط الضوء على تجاربها وإسهاماتها في مجال الخير العامّ، وكيف كان لتلك الإسهامات دورٌ بارز في تنمية مجتمعاتها.

تنوعت رسالات هذه الشخصيات ومشاريعها في مجالات عدة، من التنمية الاقتصادية، إلى نشر الوعي الإنساني وتحقيق المساواة والعدالة الاجتماعية، إضافة إلى مساعدة أكثر الفئات احتياجًا في المجتمع. هذه الرموز الإنسانية -وإن اختلفت طبيعة الدين والشرائع لديها-، الْتَقَت حول مفهوم خدمة الإنسان، بوصفه طريقًا إلى التعبير عن إيمانها.

ستعيشون عبر هذه السير مع شخصيات إسلامية ومسيحية، تشمل نساءً ورجالاً من فئات مجتمعية مختلفة، ومن خلفيات علمية وعملية وثقافية متنوعة. لم تجمعهم دفَّتَا هذا الكتيب فقط، بل جمعهم في الواقع ثمار إيمانهم. وبات لكل واحد وواحدة منهم قصة ملهِمة لكل الناس، على اختلاف توجهاتهم.

هذه القدوات ليست مثالية أو منفصلة عن الواقع، بل هي نماذج تطبيقية وعملية، تلهمنا في حياتنا، وتَحفزنا على خدمة الإنسان من حولنا. عاشوا أو يعيشون معنا. سِرُّ تَميُّزهم(هنّ) أنهم اختاروا الالتزام المجتمعي طريقًا إلى الحياة. حفزهم إيمانُهم على أن يطبقوا القيم التي يَحملها دينهم، ليكونوا أمثلة وقدوات تُجسد الخير في المجتمع.

مع تزايد التحديات التي تواجهها الإنسانية اليوم، تزداد أهمية العمل من أجل الخير العام، إذ لا يمكن التغلب على المشكلات العديدة في مجتمعاتنا دون شيوع ثقافة العمل المجتمعي الخَيِّر، وابتكار مشاريع تساهم في تخفيف حدة تلك المشكلات. فالإيمان لا يقتصر على ممارسة الشعائر والطقوس، بل يرتبط بالالتزام القِيمي والانخراط في العمل من أجل خير الإنسان، كلّ إنسان، مهْما كان انتماؤه(ها).

نتمنى أن يكون هذا الكتيب إضافة نوعية إلى المكتبة العربية، وأن تُجسد الشخصيات الواردة فيه أمثلة على قدرة كل فرد (ذكر أو أنثى) على إحداث تغيير، إنْ آمن بقوّة الخير، ودليلاً واضحًا على عدم حصريته في فئة أو جماعة ما.

"إننا نغتني بلقاء الآخِر. وهكذا، نستطيع في العمق أن نرى تَحوُّل قلبنا. فنتحوَّل بأَحكامنا، ونَخلق لنا فنًّا جديدًا للحياة والتفكير."

الأخت إيمانويل

العمل والشهادة من قلب مدينة "الزَّبَّالِين"

https://careme.retraitedanslaville.org

سيرتها

وُلدت "مادلين سانكان" -التي عُرفَت لاحقًا بالأخت إيمانويل- سنة ١٩٠٨، في العاصمة البلجيكية "بروكسل"، لأبٍ فرنسي وأم بلجيكية، كَوَّنَا عائلةً ثريَّة من العمل في صناعة الملابس. تُوفِّي والدها عندما كانت في عمر السادسة؛ ما ترك أثرًا عميقًا في داخلها. فتابعت حياتها، ونَحَتْ -بعد تردُّد واختبار- نحْوَ الحياة الرهبانية التي دخلتها سنة ١٩٢٩، متَّخِذة اسم "إيمانويل"، الذي يعني "اللّٰه مَعَنا". درَسَت الفلسفة، ثم الآداب لاحقًا في جامعة السوربون. بعدها، عمِلَت معلِّمة في مَدرسة إرسالية في إسطنبول، وبقيت في هذه المدينة بشكل متقطع حتى الستينيَّات، دون أن يخلو الأمر من رحلات متكررة إلى الإسكندرية وتونس، حيث قضت مدَّة في تدريس الفلسفة والأدب.

بعد أن رأت حال جامِعِي القُمامة في القاهرة وسوء معيشتهم، والذين عُرفوا بـ"الزَّبَّالِين"، قررت مَطلع السبعينيَّات -بعد موافقة رهبنتها- أن تعيش معهم وتساعدهم. فعملت الأخت إيمانويل على تأسيس مدرسة المحبة سنة ١٩٨٨، لأولاد جامعي القُمامة في حيِّهم "حيّ الزَّبَّالِين"، في منطقة "عِزْبة النَّخل" شمال شرق

> النظر إلى الآخر،
> والاستماع إليه،
> والتبسم له،
> والاهتمام به،
> ذلك بالنسبة إليَّ
> هو بداية معنى
> أن أَكُون إنسانًا.

القاهرة، مُنْقِذة بذلك أعدادًا لا تُحصى منهم من فخِّ الْأُمِّيَّة والفقر، ومُوفِّرة لهم مساحة نظيفة آمنة، تُشكِّل متنفَّسًا لهم، بعيدًا عن منازلهم المتواضعة غير الصحية والمحاطة بأكوام القمامة، في حين يَدفع أهلُهم ما أمْكَنَهم من أقساط المدرسة، أو يُعفَون منها إن لم يكن في إمكانهم توفيرها.

إضافةً إلى العمل على تعليم الأطفال، ناضلَت أيضًا في سبيل محاربة العنف الْأُسَري بحقِّ الزوجات وحق الأطفال. فاستطاعت بما لها من احترام بَنَتْه مع الوقت في نفوس جامِعِي القمامة، وبإصرار دؤوب، على بلوغ ما تريد، مترافقًا ذلك مع المحبة التي كانت أعمالها تُعبِّر عنها، حيث أحرزَت تقدُّمًا ملموسًا على هذا الصعيد. وأيضًا لم تُهمل مكافحة تعاطي المشروبات الكحولية، الذي كان يَطُول حتى الأطفال.

اِفتتحت الراهبة المتقدمة في العمر عيادات متخصصة، ودُور حضانة للأطفال، ومراكز لمحو الْأُمِّيّة، وساهمت في دعمها عبْر شبكة من المهتمِّين والمتبرِّعين حول العالم، بواسطة جمعية أسَّسَتها، وصارت تُعرَف لاحِقًا بِاسْم: "اسْمَعِي جمعية الأخت إيمانويل"، حيث نَشِطَت في ٨ بلدان لتساعد قرابة ٥٠ ألف مستفيد مباشر، بِغضِّ النظر عن انتماءات المستفيدين الدينية أو الإثنية أو الثقافية أو السياسية.

حازت الأخت إيمانويل على تقدير هؤلاء

الناس الطيبين، إذ عاشت بينهم متحمِّلة ما كانوا يتحملونه من روائح كريهة وأخطار الإصابة بالأمراض، وكل ما رافق ذلك من الفقر وانتشار الجهل. وهذا التقدير ساهم في التخفيف بعض الشيء، من صعوبة مهمَّتها في إقناع بعضهم بإرسال أطفالهم إلى المدارس، وبالسماح لزوجاتهم بممارسة ببعض الأنشطة التَّوعوية، التي كانت الأخت إيمانويل تعمل على تقديمها لهن.

جاءت عودتها إلى فرنسا خلافًا لإرادتها، إذ كانت ترغب في البقاء قرب "إخوتها وأهلها" في القاهرة. فحوَّلَت الأخت إيمانويل هذه العودة إلى نضال جديد، إعلاميٍّ هذه المرة، لتدافع عن قضايا الفقراء والمشرَّدين والمهاجرين، مشجِّعةً على بناء المساكن والمستوصفات والمدارس، لانتشال هؤلاء المعذَّبين ممَّا هم فيه، مقدِّمةً أفكارًا تقدمية قد تزعج بعضهم، لكنها تدل على حيوية تفكيرها، وجرأتها في التفكير والتعبير.

تقول الأخت إيمانويل عن نفسها: إنها ليست قدِّيسة، وترفض -من باب التواضع- مقارنتها بالأم "تريزا". فلم تُخْفِ بعض الخصال السيئة فيها كإنسانة، مثل الحقد والغضب -كما قالت-، أو خوفها من الألم. وأيضًا صرَّحَت بأنها مُناضِلة عنيدة من أجل حقوق المرأة. لذا، منحَتها السلطات المصرية سنة ١٩٩١ الجنسية المصرية، تكريمًا لها على جهودها، والتي بقيت مواظبة عليها في مصر حتى سنة ١٩٩٣، إذ بلغت من العمر ٨٥ سنة. فعادت بناءً على أمر السلطة الرهبانية إلى فرنسا، لتَنقل خبراتها إلى غيرها من أخواتها الراهبات.

أَلَّفَت الأخت إيمانويل مجموعة من المؤلَّفات، مثل: حياة مع الفقراء، يلاَّ يا شباب، اعترافات راهبة. وكانت وفاتها سنة ٢٠٠٨ عن ٩٩ عامًا. فبقي طِيب ذكراها حاضرًا إلى اليوم، من خلال المشاريع الحيَّة التي أسَّسَتها، ومن خلال جمعيتها وجمعية أصدقائها، التي تأسَّست في مَسقط رأسها.

> على كلّ شخص أن يجد
> أين يُصوِّب كفاحه،
> ليَعِمّ في العالَم فرحٌ أكبر.
> والعالم مِثَل المِرآة،
> إنْ تُعطِ فيه الفرح،
> فستُعطَى فرَحًا في المقابل.
> والعطاء يمنح الحياةَ زخمًا؛
> ما يساعدنا على أن نفهم
> أننا أحياء،
> وأننا إخوة وأخوات،
> لِكلِّ الأشخاص
> الذين يحيطون بنا.

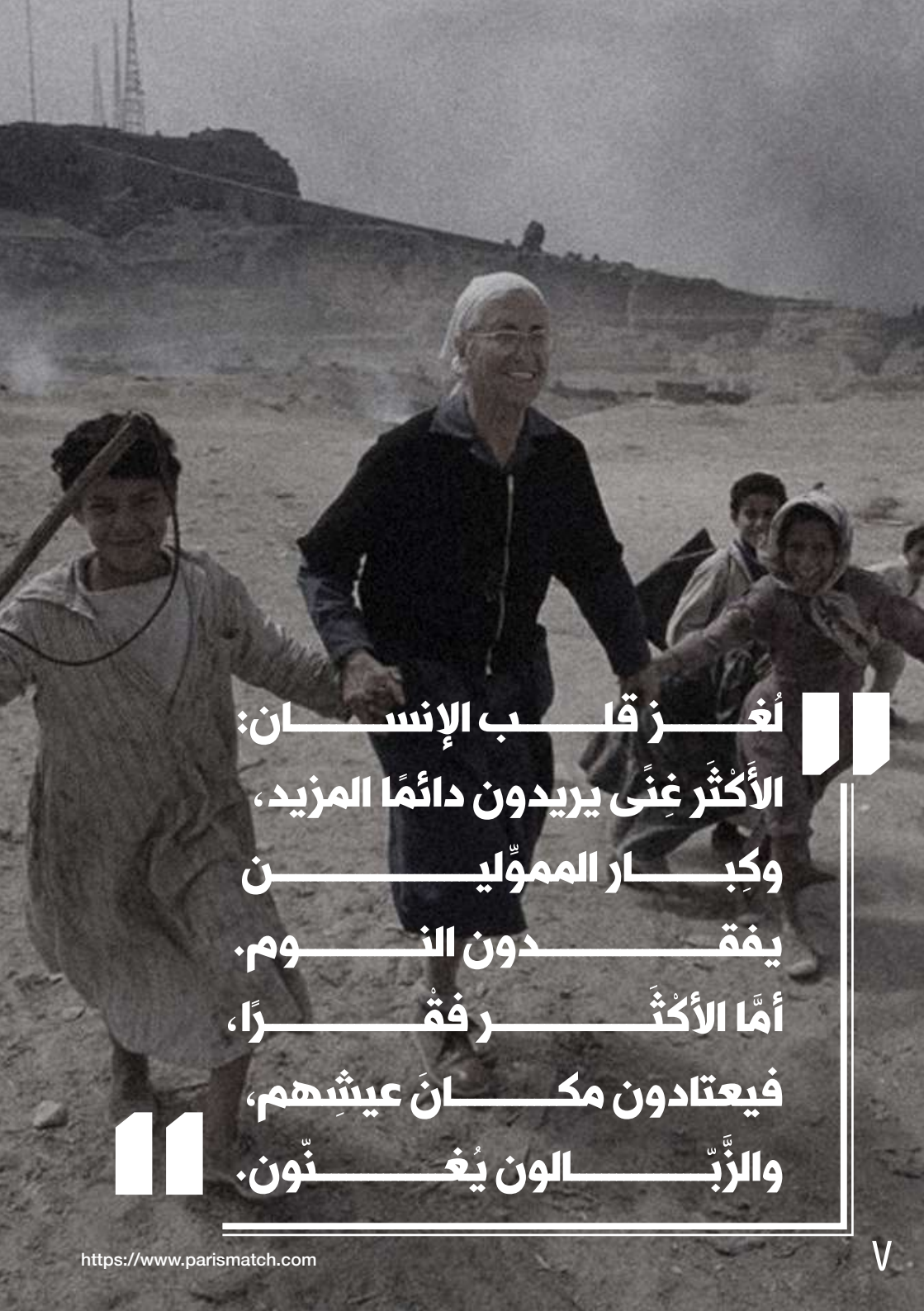

"لُغز قلب الإنسان:
الأَكْثَر غِنًى يريدون دائمًا المزيد،
وكِبار المموِّلين
يفقدون النوم.
أمَّا الأكْثَر فقْرًا،
فيعتادون مكانَ عيشِهم،
والزَّبّالون يُغنّون."

فِكرهـــــــــــــــا

حاولت الأخت إيمانويل دومًا، خدمة مَن هم أكثر احتياجًا. فهي قد أتت مصرَ أولاً لخدمة المصابين بالجُذام، ولكنَّ تعقيداتٍ بيروقراطية ومحاذير مختلفة، جعلت ما تريده غير ممكن التحقيق. فانصرفت إلى فئة محتاجة أخرى هي "الزَّبّالون"، وأصبحت أختهم ورفيقتهم.

مع أنَّ جامِعِي القُمامة كانوا في غالبيتهم من المسيحيين الأقباط، فإنَّ الاحتكاك بالمواطنين المسلمين الذين يعيشون في مناطق نشاط الأخت إيمانويل، كان احتكاكًا يوميًّا. وقد رفضت بتفكيرها وعملها كل الصور النمطية السائدة عن المسلمين، سواء لدى جامِعِي القمامة، أو لدى المجتمع الغربي الذي أتت منه. فتقول: إن المسلم "ليس عنيفًا أو متعصبًا بطبيعته"، وتَرفض أيَّ تمييز بين الناس -إلى أيِّ دين انتمَوا- الذين يستفيدون من نشاطها. أيضًا رفضت منع ارتداء الحجاب في المدارس المسيحيّة، من باب احترام أفكار الآخرين ومعتقداتهم.

في المقابل، حَظِيَت الأخت إيمانويل بمحبة المسلمين كما المسيحيين؛ إذ كانت قد وضعت منهجًا واضحًا لعملها، يتمثل بعدم تبشير[1] المسلمين، وإنما بالعمل من أجل فهم متبادل عن طريق المحبة، من خلال

> **أينمـــا تذهبْ ودائمًـــا،**
> **فـــابْحث عن التِّرْيـــاق**
> **الذي يخفِّـــف الألـــم.**
> **وازرع الأمـــــــل،**
> **فذلك يُعيد الحيـــــاة.**
> **ومحبَّتُـــك تصنـــع**
> **العجـــــــائب.**

١- دعوة غير المسيحيين إلى المسيحية.

كل الأديان. وقد كان سرورها عظيمًا، حين قام نجَّارٌ مسلم طلبَت منه صُنع باب لمسكنها، بِنَقْش هلالٍ وصليب على الباب مع عبارة "الله محبة"، مؤكِّدةً أنها على عكس الفيلسوف الفرنسي سارتر، الذي قال: "الآخَرون هُم الجحيم"، إذ تقول: إن الآخرين هم المَلكوت[٢]، وهو أمر مشروط بمقدار المحبة الموجودة في قلوب بعضنا تجاه بعض.

في أحد كُتبها تقول: "أثناء إقامتي في تركيا وتونس ومصر، كان لي الحظُّ في أن أغرِف عن الإسلام وثراءه الداخلي. في حواراتنا القلبية، تحدثتُ قليلاً جدًّا عن ديانتي، مع الآلاف من أصدقائي، مفكرين أو زبالين، الذين يتشاركون الإسلام. لقد كان احترام معتقداتنا المتبادلة دائمًا أساس علاقتنا. إنها أولاً الصداقة التي تسقط الحواجز."

هذه المسيرة الحافلة للأخت إيمانويل بالعمل والإنجاز، لم تكن لِتَتحقق لولا إصرارها على تحقيقها، وعملها الدؤوب البعيد عن الراحة، إذ إنها ترى "الراحة الحقيقية في المَلكوت بجوار الخالق". وقد تَرجمت هذا الاعتقاد في ممارستها، عندما بدأتْ رسالتَها في القاهرة بعد تجاوزها ٦٠ عامًا من العمر، ولم تُغادرها حتى بلغَت ٨٥ عامًا. وأيضًا لم يتوقف نشاطها حتى بعد ذلك.

تبنَّت الأخت إيمانويل مواقف غير معتادة، بالنسبة إلى الجماعة الدينية التي انتمت إليها. فدعمت استعمال حبوب منع الحمل في بلد كمِصْر، يشاهد تزايدًا سكّانيًّا غير مضبوط. وهو الأمر الذي يخالف التوجهات الرسمية للكنيسة الكاثوليكية. أيضًا تأثَّرت بالاحتكاك بالإكليروس الشرقي، الذين يحق لهم الزواج -بخلاف الإكليروس[٣] الغربي-. فدعَت إلى السماح للكهنة الكاثوليك بالزواج، واقترحَت أنْ يقُوم الفاتيكان بِبَيْع بعض مقتنياته الثمينة في سبيل الفقراء والمحتاجين.

> "لا أستطيع أن أنظر إلى السماء دون الأرض، ولا إلى الأرض دون السماء."

٢- الملكوت أو ملكوت الله هو حقيقة الحياة وغايتها كما يريدها الله أن تكون، اي ملكوت عدل وسلام وفرح عبر شراكة البشر مع الله ووحدتهم فيما بينهم. وقد جعل المسيح بتجسده هذا الملكوت حاضرًا في قلوب الناس وفي العالم، وأوكل إلى الكنيسة الشهادة له وتنميته.

٣- الإكليروس: (أو الرُّتَب الكهنوتية)، يُقصَد بها الدرجات التي تهَبُها الكنيسة لأشخاص معيَّنين، مثل: الأسقفية، والكهنوت والقسيسية، والشماسية. ويمكن استعمال كلمة إكليروس، للتعبير عن مجموعة الحاصلين على هذه الرتب.

ثمرة تجربتي الأولى هي الآتية:
في كلّ قارّات الأرض،
رغبةُ الفقير المُلِحّة
وحاجته الأساسية
هي واحدة: أن يُحتَرم.
وهنا، نَلمس الشرط الأساسي
لكل عمل اجتماعي،
وهو إظهار الاحترام
لكل إنسان بالتساوي مع غيره.

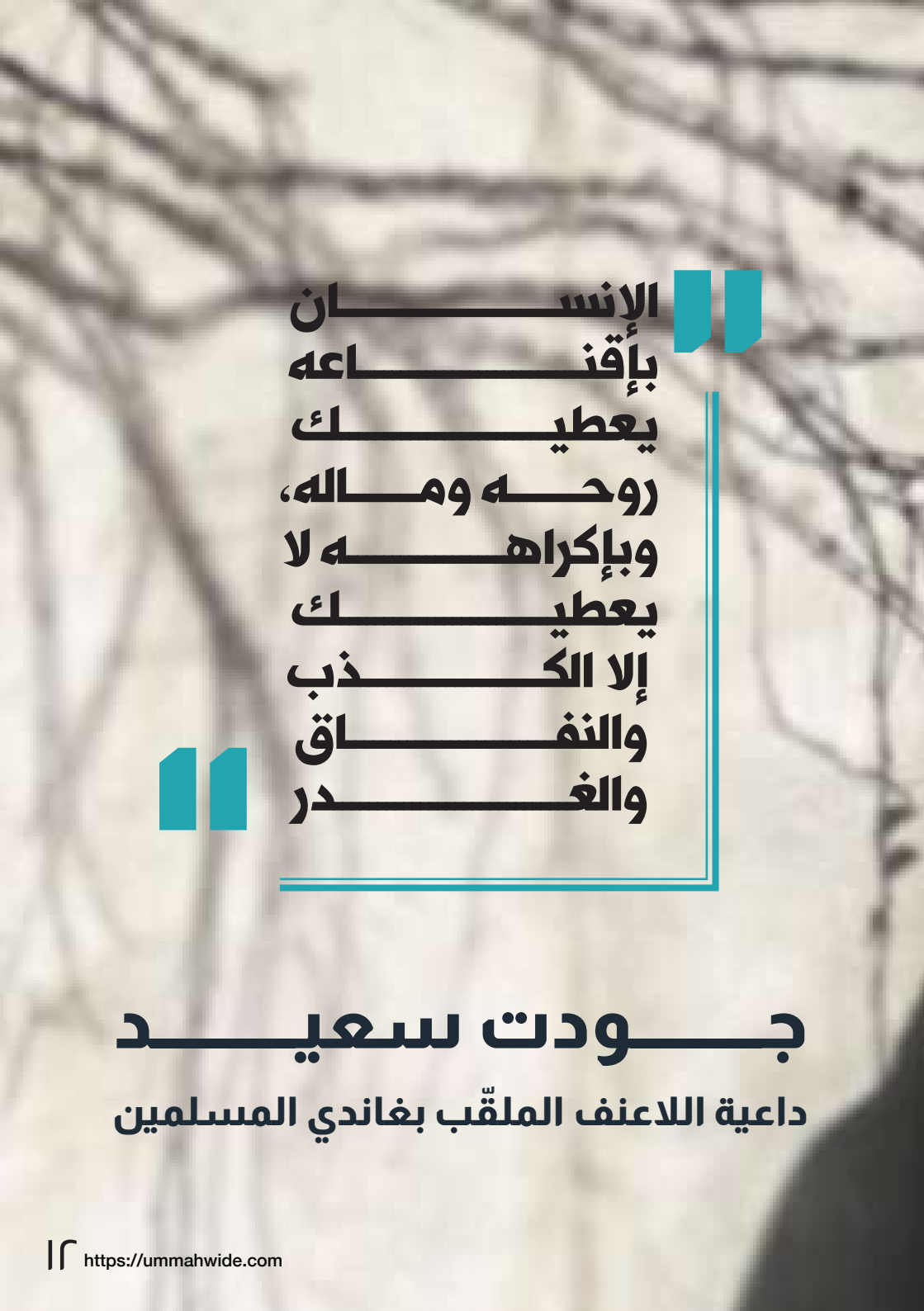

الإنسان بإقناعه يعطيك روحه وماله، وبإكراهه لا يعطيك إلا الكذب والنفاق والغدر

جودت سعيد

داعية اللاعنف الملقّب بغاندي المسلمين

سيرته

وُلد جودت سعيد سنة ١٩٣١، في بير عجم في الجولان السوري، وهي قرية معظم سكانها من الشركس، الذين هاجروا إلى بلاد الشام على إثر الاضطهاد القيصري الرُّوسي. انتقل إلى القاهرة سنة ١٩٤٦ للدراسة في الأزهر الشريف، حيث بقي عشر سنوات، تَحصَّل خلالها على الدبلوم في التربية والإجازة في اللغة العربية. وهناك، تَعرَّف إلى «جماعة الإخوان المسلمين»، وعايَش عن قرب الصراع الدائر بين القوميِّين العرب من ناصرِيِّين وبَعثيِّين وجماعة الإخوان المسلمين. ولكنه سرعان ما ابتعد عن الجماعة، بسبب مسألة لجوئها إلى العنف في العمل السياسي.

بعد استكمال دراسته في مصر، انتقل جودت سعيد إلى المملكة العربية السعودية للتدريس مدة سنتَين، في دار المعلمين في مدينة بُرَيدَة في نجد. بعدها، عاد إلى سوريا ليدرّس سنةً قبل أن يُدعَى لأداء الخدمة العسكرية، التي أتمَّها سنة ١٩٦٣، ثم عاد للعمل في حقل التدريس أستاذًا لِلُّغة العربية في ثانويات دمشق. وبالتوازي مع ذلك، كان يعمل على نشر أفكاره عن اللاعنف وإصلاح الفكر الديني، من خلال الكتابات والمحاضرات. وخوفًا

> الحرب ماتت، ولا يمارسها إلا الجهَلة والمغفَّلون والخبثاء، الذين يستغلون جهل هؤلاء وغفلتهم.

من انتشار أفكاره، عمَدت الإدارة التعليمية إلى نقله إلى مناطق مختلفة من البلاد، إلاّ أنه واصَل عمله الفكري على الرغم من الصعوبات. وقد وصل الأمر إلى حد اعتقاله خمس مرات، وسجنه فترات متفاوتة. وفي أواخر الستينيّات، حظَرَت عليه السلطات مهنة التعليم نهائيًّا.

بعد حرب سنة ١٩٧٣، وعلى إثر تحرير القنيطرة وعدة قُرًى من الجولان من الاحتلال الاسرائيلي، ومنها بير عجم (مَسقَط رأس جودت سعيد)، قرَّر العودة إلى قريته وترميم بيته، ليستقر هناك مع عائلته برفقة والده وإخوته. عاش جودت سعيد في بير عجم ممتهِنًا الفلاحة وتربية النحل، حتى يَضمن استقلاله الفكري، مُواصِلاً في الوقت نفسه عمله الفكري. وذلك إلى غاية سنة ٢٠١٣، أي بعد سنتين من بداية الثورة في سوريا، حين قُتِل أخُوه ودُمّرت معظم القرية، مِن جرّاء قصف جوّي من قِبل القوات الحكومية؛ ما أجبَر سعيد وعائلته على مغادرة سوريا واللجوء إلى مدينة إسطنبول التركية.

تميزت حياة جودت سعيد بالبساطة والزهد، وخاصة بالانسجام بين القول والعمل. فكما كان -ولا يزال- داعيًا متحمِّسًا إلى اللاعنف، عاش هذه الأفكار التي آمن بها في حياته الخاصة والعامة، ودفع ثمنًا باهظًا لاستقلاليته وحريته. أيضًا ظلّ مفكرًا حرًّا لا ينتمي إلى أي تيار أيديولوجي، ولا إلى أية طريقة صوفية أو جمعية دينية. من مؤلفاته:

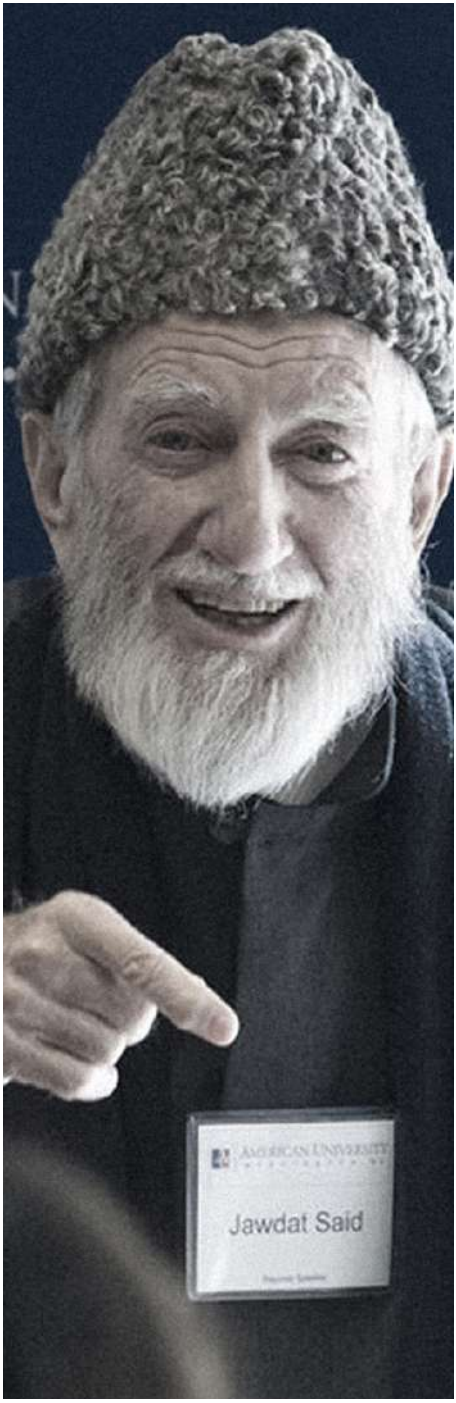

https://syrianobserver.com

- مذهب ابن آدم الأول أو مشكلة العنف في العمل الإسلامي (١٩٦٦).
- الإنسان حين يكُون كلاًّ وحين يكُون عَدْلاً (١٩٦٩).
- حتى يُغيِّروا ما بأنفسهم (١٩٧٢).
- العمل قدرة وإرادة (١٩٨٠).
- اِقْرأ وربُّك الأكرم (١٩٨٨).
- فِقْدان التوازن الاجتماعي (١٩٩٣).
- مفهوم التغيير (١٩٩٤).
- رياح التغيير (١٩٩٥).
- لا إكراه في الدين (١٩٩٧).
- كُنْ كَابْن آدم (١٩٩٧).
- الدِّين والقانون: رؤية قرآنية (١٩٩٨).

والقـــــــرآن الكريـــــــم
يطلـــــــــب منَّـــــــا
أن نطلـــــــــــــــب
عِلمًـــــا خـــــارج القـــــرآن،
وذلـــــك بالسَّيـــــر والنظـــــر
فـــــــــــــي الأرض،
إلى آيـــــــات اللـــــــه
المودَعـــــــة فـــــــي
الآفـــــاق والأنفـــــس.
فآيـــــــات الآفـــــــاقِ
والأَنْفُـــــسِ من القـــــرآن،
من حيـــــث إن القـــــرآن
يـــــأمر بالنظـــــر إليهـــــا،
ولكـــــن مكـــــان طلبهـــــا
ليـــــس القـــــرآن،
وإنمـــــا في الكـــــون.

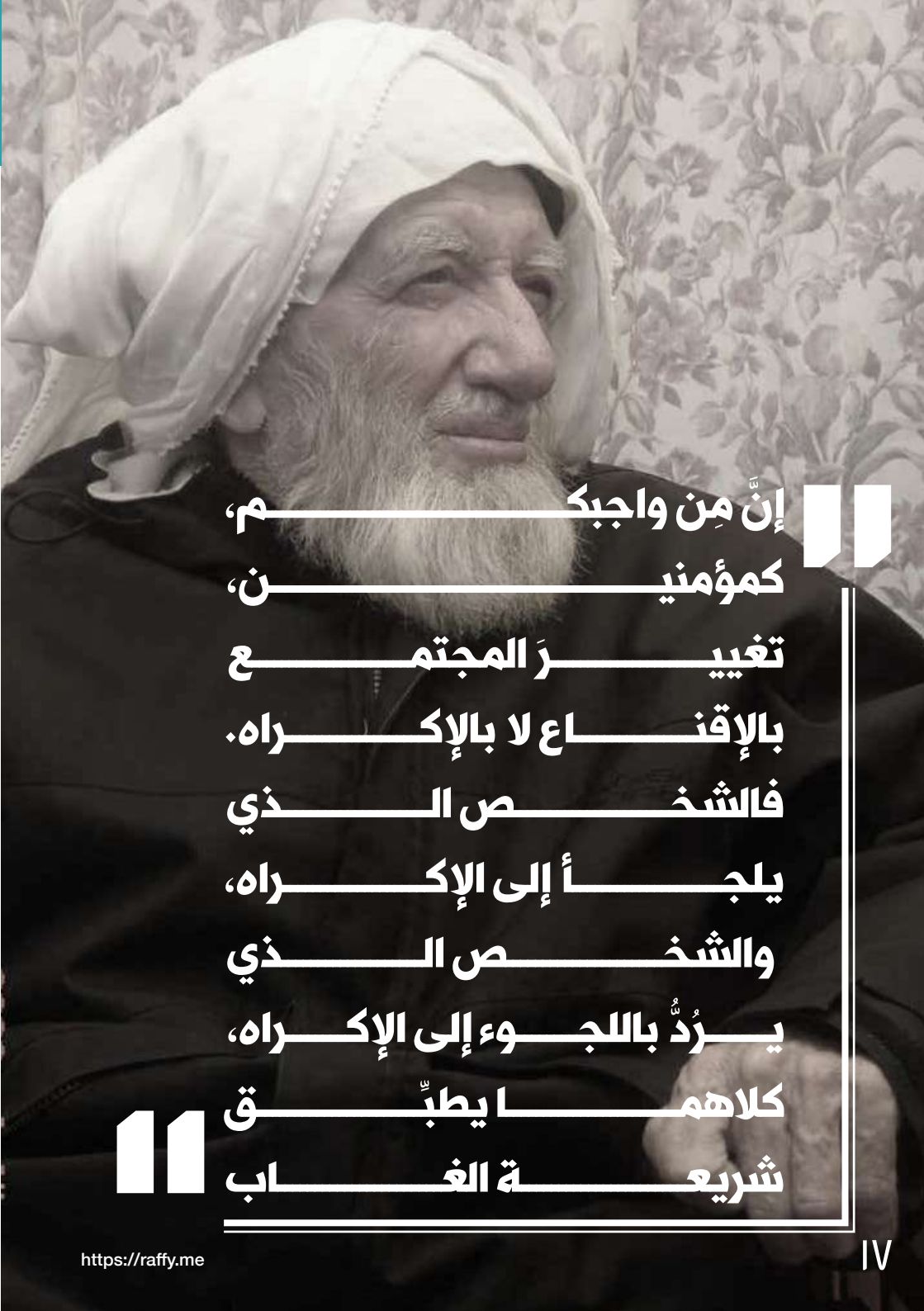

إنَّ مِن واجبكم، كمؤمنين، تغييرَ المجتمع بالإقناع لا بالإكراه. فالشخص الذي يلجأ إلى الإكراه، والشخص الذي يرُدُّ باللجوء إلى الإكراه، كلاهما يطبِّق شريعة الغاب

الفكرة الأساسية التي يتمحور حولها فكر جودت سعيد، هي اللاعنف، بوَصْفِه منهجًا للحياة، وللتغيير بالوسائل السلمية، من دون إعادة إنتاج العنف المسلَّط. وهو موقف سياسي فعَّال، يكشف الوجه الحقيقي للظلم من دون التورط معه في عنفه. وقد أطلَق بعضهم على جودت سعيد لقب "غاندي المسلمين"؛ ما يُدرج فكره ضمْن سياق عالميّ يضم المهاتما غاندي (تُوفِّي سنة ١٩٤٨) في الهند، ومارتن لوثر الابن (تُوفِّي سنة ١٩٦٨) في الولايات المتحدة الأميركية، وغيرهما من أبطال اللاعنف، حتى وإن كان جودت سعيد حريصًا على تسويغ أفكاره والاستدلال عليها، من منطلقات إسلامية قرآنية، من دون الإحالة إلى غاندي أو غيره. وعلى الصعيد الإسلامي، يمكن مقارنة أفكار جودت سعيد بنُظَرائه من المفكرين المسلمين، أمثال: خان عبد الغفار خان (تُوفِّي سنة ١٩٨٨)، وأصغر علي إنجنير (تُوفِّي سنة ٢٠١٣)، ووحيد الدين خان، وغيرهم.

ينطلق جودت سعيد من القصص القرآني، بدءًا من قصة خلق الإنسان، وقصة ابْنَي آدم المعروفة بقصة قابيل وهابيل. فبالنسبة إلى قصة الخلق، ينطلق سعيد من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: الآية ٣٠]. يستدل سعيد بالآية على أنّ الغاية من الخلق لا يمكن أن تكون الفساد وسفك الدماء، بل الغاية السامية من الحياة هي العبادة والتقديس.

ما خشِيَت منه الملائكةُ، وقَع فِعلاً في قصة ابْنَي آدم، حين قَتل الأخ أخاه. ويعتمد سعيد على الآية التي تَرفض فيها الضحيَّةُ ممارسةَ العنف: ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة المائدة: الآية ٢٨]. فهو يَعتبر أن الموقف الأخلاقي اللاعنفي للضحية هو الموقف الأصلي والأساسي

> **"إن الإيمان يبدأ بإنقاذ الذات، وينتهي بإنقاذ المجتمع"**

الذي ينبغي أن يكون نموذجًا لسلوك الإنسان. أيضًا يَظهر من خلال منهج جودت سعيد، ردُّ الاعتبار للقصص القرآني كمصدر للعقيدة والأخلاق.

ولا يخشى سعيد من التنوع والتعددية في المجتمعات ذات الأغلبية المسلمة (مثل سوريا)، ضاربًا المثل بالاتحاد الأوروبي، الذي اتَّحدَت دُوَله العديدة بما فيها من قوميات وأديان ومذاهب مختلفة، ويعتقد أن ذلك تَحقّق بفضل الديمقراطية، وأنها دول اكتشفت أن مصالحها الحقيقية في تضامنها، وليس في اقتتالها.

يُؤمن سعيد بالمبدأ القرآني "تَعَالَوْا إلى كلمةٍ سَوَاءٍ"، لحلّ النزاعات السياسية، خاصة في الوضع السوري المتأزِّم. فيقول: "نعطي لكم كل شيء نعطيه لأنفسنا، وإذا تجاوزتم فنحن نلتزم من طرف واحد، ونقول اشهَدُوا بأننا مسلمون بكلمة السَّواء، ولْيُرشِّح أيًّا كان نفسَه للرئاسة وإذا فاز بالانتخاب فهو يستحقها". ويضيف أن المستضعَفين في الأرض هم الذين يعرفون معنى العدل، وليس المستكبرين. يرى جودت سعيد أن التاريخ يُصدقّه، فالعنف لا يحلّ المشاكل، وإن استُخدم لحلّها، فإنَّ كُلفته أعلى من أي وسيلة أخرى. وقد وصل إلى هذا الرأي من خلال دراسة أحداث التاريخ وتجارب الأمم، وهو ما يسميه النظر في "آيات الآفاق والأنفس" في هذا العصر، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [سور فُصِّلَت: الآية ٥٣]. لقد أصبحت الحرب اليوم أكثر عنفًا ودمارًا من

١- القصص القرآني: (أو ما يُعرف بقصص الأنبياء)، هو الجانب السردي من القرآن الكريم، ويشكّل ما يَزيد عن ثُلث آيات المصحف. يتناول هذا القصص سِيَر الأنبياء السابقين ومواقفهم منذ آدم وحواء، وُصولاً إلى مريم والمسيح، ومرورًا بنوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وغيرهم (عليهم السلام جميعًا). ومعظم هذه الأسماء مذكورة في الكتاب المقدس.

أي وقت مضى، خاصة مع التطور التِّقْنِيّ واختراع أسلحة الدمار الشامل.

يكرّر سعيد عبارته الشهيرة "الإنسان بإقناعِه يعطيك روحه وماله، وبإكراهه لا يعطيك إلاَّ الكذب والنفاق والغدر"، استنادًا إلى الآية الكريمة ﴿لا إِكراهَ في الدِّين﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٥٦]. أيضًا يوضح أن الله عز وجل يقول لا تَقْبلوا دِيني بالإكراه، ومَن شاء فليُؤْمن ومَن شاء فَلْيَكفر. لذا، إنْ كان لا إكراهَ في الدِّين، فلا يجوز أن يكون هناك إكراه في السياسة، أو في المجتمع، أو في أيّ جانب من الحياة.

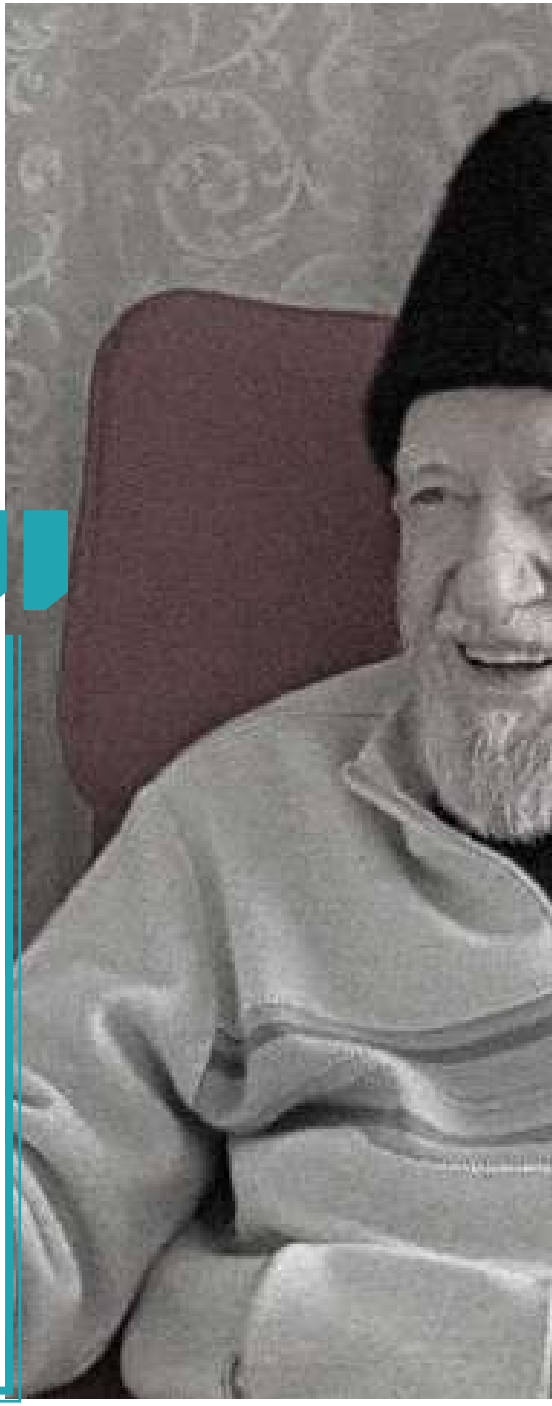

فهنا نُخطئ، ويصل تقديسنا للكتاب والسُّنَّة إلى الغُلوِّ، حين نَنسب إليهما شيئًا ليس من مهمَّتهما، إذ ليس من مهمة الكتاب والسنة أن يَرفعا الهَوان عن قوم لا يستخدمون أسماعهم وأبصارهم وأفئدتهم.

https://www.la-croix.com

المسيحية
ليست دِينًا
بقدر ما
هي المسيح،
وإنها تتجسد
في دِين
عبْر كل زمن،
ومن الضروري
أن تتجاوز هذا
التجسد لئلَّا
يصبح صنَميَّة.

المِطْران غريغوار حداد

مطران الفقراء والعلمانية

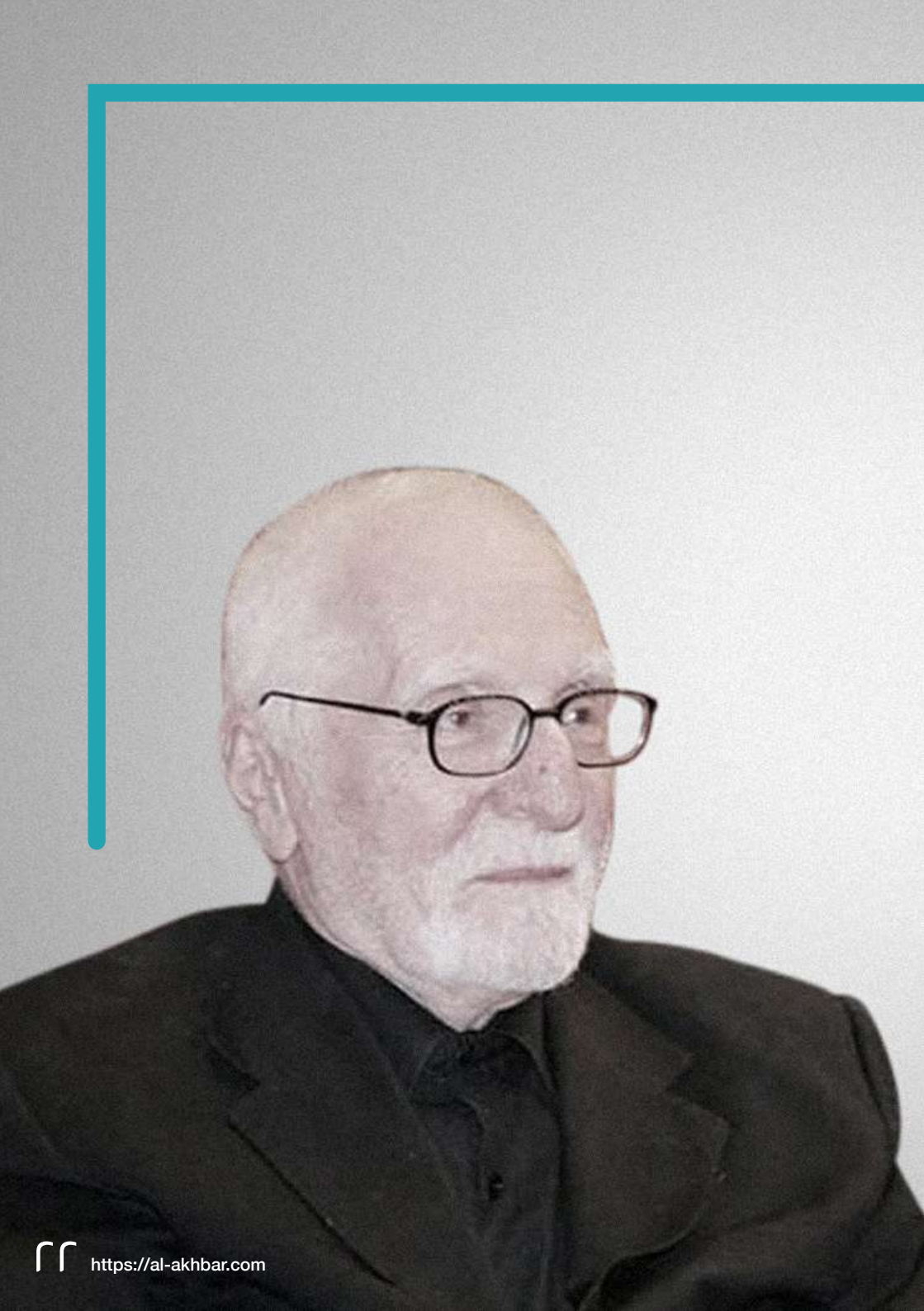

سيرته

وُلد نخلة أمين حداد (المعروف بِاسْم المِطْران غريغوار حدَّاد)، في سوق الغرب قرب عاليه في جبل لبنان سنة ١٩٢٤، من أبٍ بروتستانتي من أصول أرثوذكسية، وأمٍّ تنتمي إلى كنيسة الروم الكاثوليك. دخَل مَدرسة قريته، ثم انتقل إلى مدرسة النهضة التابعة لدير القِدِّيس جاورجيوسالشير، حيث نال شهادة السيرتيفيكا.

اِنتقل لاحقًا سنة ١٩٣٧ إلى الإكليريكية[١] الشرقية التابعة للآباء اليسوعيين في بيروت، حيث أنهى تحصيله المدرسي بشهادة الباكالوريا القسم الثاني سنة ١٩٤٣، ثم باشَر دراساته اللاهوتية[٢] في جامعة القديس يوسف اليسوعية قرابة ٦ سنوات، لينال بعدها السِّيامة الكهنوتية[٣] في دير الشير على يد المطران[٤] فيلبس نبعة (متروبوليت بيروت وجبَيل وتوابعهما)، حيث اتَّخذ اسم "غريغوار" بسبب إعجابه هو ووالده بشخصية المطران غريغوار

١- الإكليريكية: دار تَنشئة لطلاَّب الكهنوت، وهي مَدرسة تُعلّم وتثّقف الشباب أصول الحياة الإيمانية والكهنوتيّة المسيحية، ضمْن سنوات محددة، قبْل الارتقاء إلى الكَهَنُوت، أي قبْل أن يصبحوا رجال دين. وتتميز هذه المدة بمتابعة الشباب مِن كَثَب، مِن قِبل فريق من الكهنة، لتمَيّز دعوتهم الكهنوتيّة وتساعدهم على قراءة مشيئة الله ودعوتِه لهم.

٢- اللاهوت: هو علم دراسة الإلهيات دراسة علمية منطقية. وقد اعتمد علماءُ اللاهوت المسيحيون على التحليل العقلاني، لشرح المسيحية بشكل أوضح. ينقسم علم اللاهوت إلى فروع كثيرة، كاللاهوت العقائدي، والأدبي، والتاريخي، والفلسفي، والطبيعي، وغيرها.

٣- السِّيامة الكهنوتية: رتبة كنَسِيّة ينال فيها المرء رتبة كاهن (راجع: ارتسم كاهنا).

٤- المطران: المسؤول الروحي والإداري الأعلى للأبرشية، والتي هي مجموع الرعايا المكوَّنة من المؤمنين.

> علينا أن نتعلم جميع ألوان المحبة، هي فنُّ الفنون، فإذا استسلمنا لِوَحْيها وجَدْنا حلًّا لكل حالة.

حداد، الذي كان بطريرك[٥] كنيسة الروم الأرثوذكس، وعُرِف بفقره وتواضعه، ومساعدته للمحتاجين، وعلاقته الأَخَوِيَّة بالمسلمين.

أسَّس "الحركة الاجتماعية" سنة ١٩٦١ لتحقيق التنمية الاجتماعية للجميع، وخصوصًا الفئات المهمَّشة في كل المناطق اللبنانية. فنَشِطت الحركة في العمل الإغاثي، خلال الحرب الأهلية اللبنانية.

تُعَدُّ الحركة الاجتماعية جمعيّةً لاطائفية ولاحزبية، تعمل إلى جانب أكثر الفئات تهميشًا في مختلف المناطق اللبنانية، وتهتم بالإنسان "كل إنسان وكل الإنسان"، إذ هو في صُلب اهتمامات الحركة التي تسعى إلى تفعيل دور المُواطن، وحثّه على بناء سُبل تَضامُن جديدة. لا تكتفي الحركة الاجتماعية بالتدخل المباشر إلى جانب المستفيدين من برامجها، أو بِتَوعيتهم بحقوقهم كي يطالبوا بها، بل تعمل على توعية المجتمع المدنيّ بالقضايا الاجتماعية والاقتصادية، وتُطالِب الجهات المسؤولة بتطوير سياسات، تأخذ بعين الاعتبار الحاجات والحقوق الأساسية لِأَكثر الفئات تهميشًا. تلتزم الحركةُ الاجتماعيةُ إلى جانب مبادئ أخرى، اللَّاطائفيَّةَ واللافئويةَ واللاحزبية واللاعنف.

بَعْد تَولّي غريغوار حداد مَهامَّ أُسْقُفٍّ

٥- البطريرك: المسؤول الروحي والإداري الأعلى للبطريركية، وهي مجموع الأبرشيات.

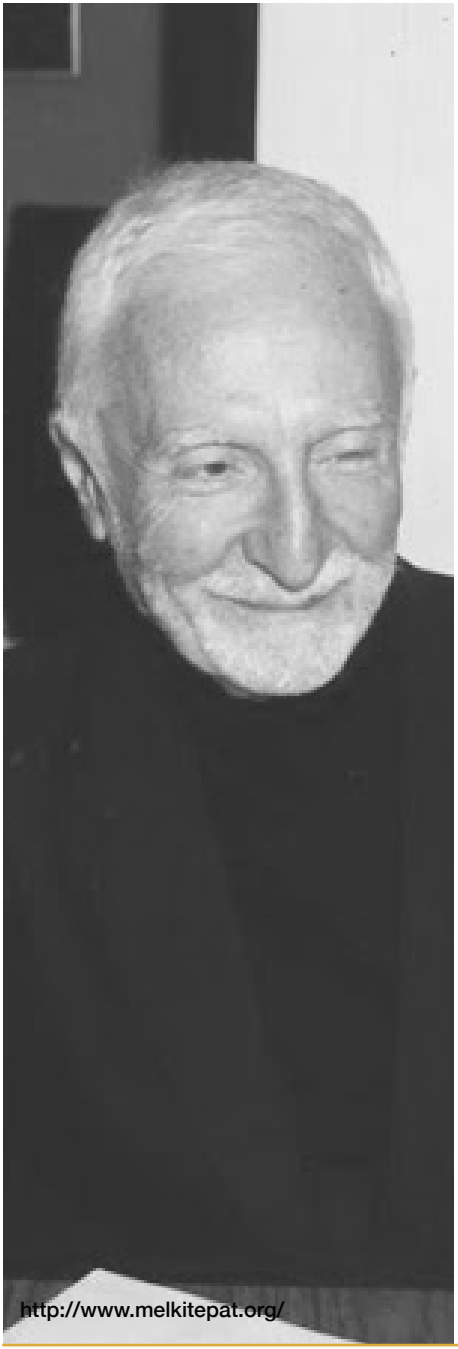
http://www.melkitepat.org/

مُساعد لمطران بيروت خلال ٣ سنوات، انتخبه سينودوس[٦] كنيسة الروم الكاثوليك سنة ١٩٦٨ مِطْرانًا، لِواحدة من أهم أبرشيَّات[٧] هذه الكنيسة في الشرق الأوسط، وهي أبرشية بيروت وجبيل وتوابعهما، حيث عمل على تنظيم العمل الرَّعَوِيّ[٩]، ونشاطات الأبرشية، وضبط المداخيل. أيضًا أَطلَق برفقة بعض المهتمين مجلة "آفاق"، التي ضمَّت أعدادُها مقالات روحية ولاهوتية نوعية، طرحَت أفكارًا ونقاشات حيوية غير معتادة.

عاش المطران غريغوار حداد زاهِدًا، متجنِّبًا مَظاهر الفخامة والأُبَّهة المعتادة، ولُقِّب بمِطْران الفقراء.

أدَّى نشاط المِطران غريغوار حداد الرَّعَوِي والفكري، إلى بعض حالات سوء فهم. فقرَّر سينودس الكنيسة تنحِيَته عن مطرانية أبرشية بيروت، ومنْحَه لقب أبرشية "أضنة[٩]" الفخري.

لم تُوقِف هذه التنحية نشاط المطران غريغوار حداد، الذي جذب الكثيرين من حوله، إذ عاد لأداء بعض المَهامّ الكنَسِيَّة من حين إلى آخر، مثل إدارة أبرشية بعلبك ثم صُور، عند شغور كرسي المطران فيها، في انتظار انتخاب مطران جديد.

تَنقَّل المطران غريغوار حداد في إقامته، بين دَيرٍ للمتوحِّدين[١٠] في فاريا والمَقرّ البطريركي للروم الكاثوليك في الربوة، وأسَّس "تيار المجتمع المدني"، الذي يسعى لبناء الدولة

٦- سينودوس: اجتماع دوري للأساقفة، لبحث الأمور الروحية والطَّقْسية والإدارية، ومنها انتخاب مطارنة للأبرشيات الشاغرة.

٧- أبرشيّات: مفردها أبرشية، وهي رقعة جغرافية محدّدة، تضمُّ مجموعة من المؤمنين الذين يشكّلون مجموعةً من الرعايا، يهتم بشؤونها الروحية كَهَنة. أمَّا مجموع الرعايا، فيشكّل أبرشية، على رأسها مطران.

٨- الرعية هي مجموعة الناس الذين تجمعهم كنيسة معينة، لهم كاهن رعية مسؤول عن خدمة الرعية أو العمل الرعوي.

٩- مدينة في تركيا

١٠- دَيْر المتوحِّدين: دَير للرهبان الراغبين في الحياة النُّوحِّدية، حيث ينعزلون عن العالم تفرُّغًا للصلاة والصوم والتأمل والعمل عادةً.

المدنية في لبنان، مناديًا بالعلمانية"والديمقراطية واللاعنف.

تُوفِّي المِطران حداد سنة ٢٠١٥، وكانت جنازته جامعة لكل من أحبه وتأثر به، من مختلف المناطق والطوائف والفئات.

ترَك المِطران حداد عدة كتب، منها: العلمانية الشاملة، تحرير المسيح والإنسان، المسيحية والمرأة، البابا ولبنان. إضافة إلى كُتُب في شرح قواعد اللغة العربية.

> التَّفهُّم يُكمل
> الاحترام.
> وهو يعني
> أن نَقْبل
> أنْ يختلف
> عنَّا قريبنا
> في تفكيره
> أو أحكامه
> أو تصرفاته
> أو رُدود فعله.

١١- العلمانية: فصل نظام الحكم عن المَرجعية الدينية، ليكون الشعب مَصدر السلطات وأساس شرعية الحكم. والعلمانيةُ تُشكِّل نظامًا محايدًا غيْرَ مُعادٍ للدِّين، وضامنًا لحريته معتَقَدًا وممارسةً، دون تسلُّط فئة على فئة.

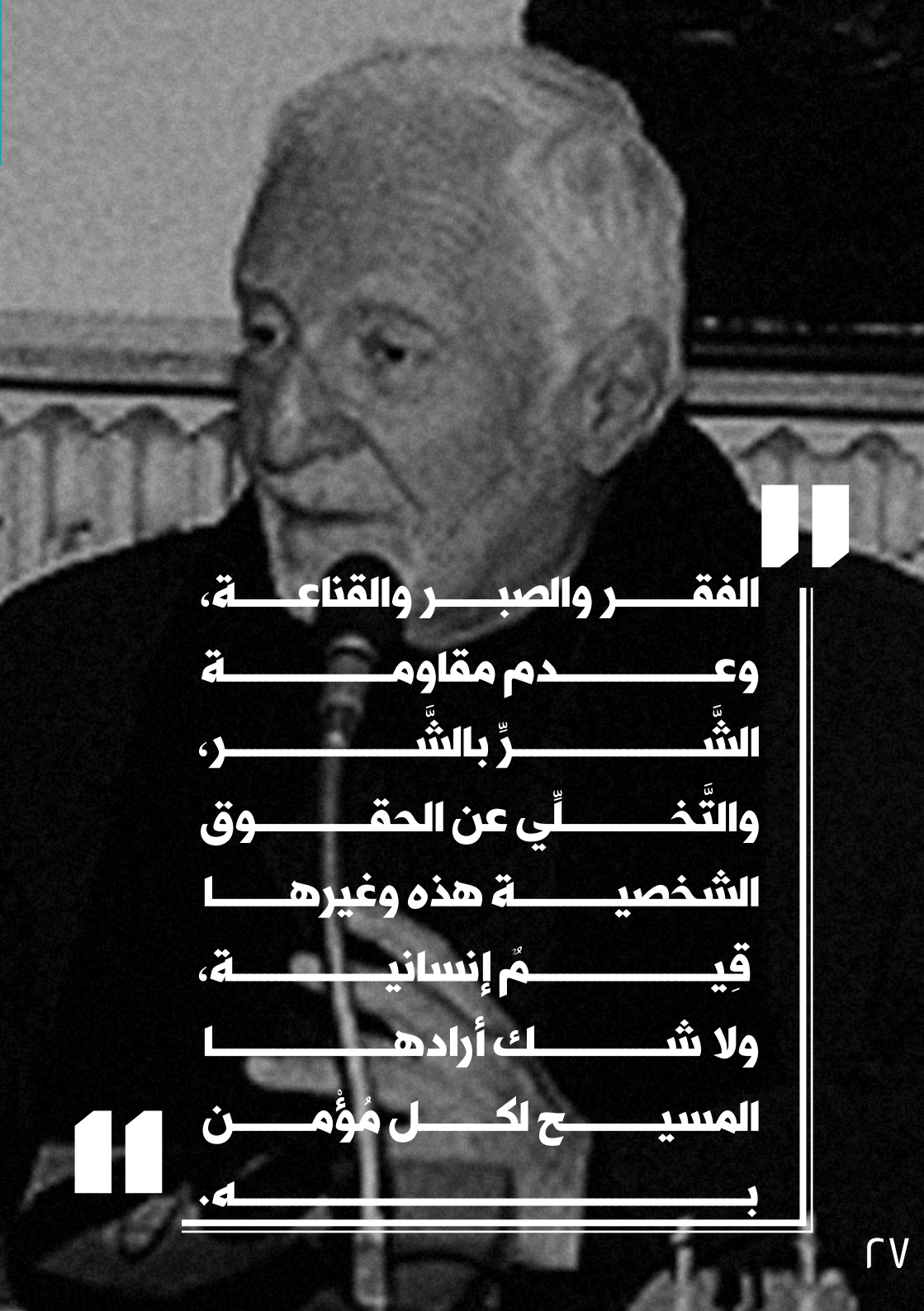

الفقر والصبر والقناعة، وعدم مقاومة الشَّرِّ بالشَّر، والتَّخلِّي عن الحقوق الشخصية هذه وغيرها قِيمٌ إنسانية، ولا شك أرادها المسيح لكل مُؤْمن به.

شكَّل الإنسان، كلُّ إنسان، وخيْرُ كلِّ إنسان، مِحورَ اهتمام المطران غريغوار حداد وفِكره وتعاليمه. ويمْكن اعتبار رؤية تيار المجتمع المدني الذي أسَّسه المطران حداد، انعكاسًا لتعاليمه.

يرى حداد، أن المجتمع المدني يقوم على أساس نظرية التعاقد بين الفرد والمجتمع، مع التزام الجماعة (بمعنى جماعة المواطنين أو جماعة الأفراد)، قوانينَ واحدةً تَجمع وتساوي بين الأفراد. أيضًا يَستخدم تعبير "مجتمع الإنسان، كل إنسان وكل الإنسان"، لِيَقصد جميع الناس بدون أي استثناء أو مفاضَلة أو تمييز (الأغنياء والفقراء، والرجال والنساء، وذوي الإعاقة...). يَهدف هذا التعبير إلى تغيير الذهنيات والبُنَى الفكرية والقوانين، في سبيل تحقيق أنْسَنة المجتمع وتنميته الشاملة، لكي لا ينمو إلاَّ ما هو لأجل الإنسان.

يقول حداد أيضًا بـ"سياسة القضايا لا سياسة الأشخاص". فسياسة القضايا تَقُوم على مساهمة كل فرد -من خلال مجموعة- في الاقتراح والتنفيذ، لِسياسة معيَّنة تلبِّي حاجات المجتمع. فالقضية هي المحور في هذا البناء القائم على تَشارُك

> المطلـــوب حُكـــمٌ
> لاطائفـــــيٌّ
> يتميّـــز حقًّـــا
> بالمجَّانيّـــــة،
> ولا يَستعمـــل
> أحـــدٌ فيـــه
> الآخريـــن لتحقيـــق
> وُصولـــه هـــو.

الأفراد. وعليه، لا يتعلَّق المشروع بأحد هؤلاء الأشخاص، بل يقوم ويستمر برغبة التعاون عند الجميع، من أجل مبدأ أو قضية. أما سياسة الأشخاص، فهي التي تقُوم على ترئيس شخص ما أو تزعيمه، وكأنه يختصر الجماعة بكمالها. وهذا ما يؤدي غالبًا إلى انقسام الجماعة على نفسها، واهتمامها بجزئيات تُبعدها عن القضية، التي شكَّلت موضوع التقائها.

أما معضلات العنف والإشكاليات التي يطرحها، في بلد كلُبنان شهد حربًا أهلية دامت ١٥ عامًا، فيَرى المطران غريغوار حداد في نقيضها (اللاعنف) طاقةً تغييرية، مُعتبرًا أن النضال اللاعنفي طاقة إنسانية تغييرية للواقع العنفي، عن طريق مشروع عمَلٍ متكامل عند الفرد والمجتمع. فمبدأ اللاعنف يرتكز على الاحترام الكامل للإنسان، باعتباره القيمة الأساسية بين كائنات العالم.
مِن هنا، يدعو المطران حداد إلى تحويل الأفراد والجماعات، مِن اعتماد العنف في تصرفاتهم، إلى اعتماد طرق الممارسة اللاعنفية، بوَصْفِها أرقى وسيلة لمعالجة الواقع الظالم.

اهتمَّ غريغوار حداد كثيرًا بالحوار المسيحي الإسلامي، واكتشف بالممارَسة أهمية التركيز وجَدْوَاه، على نشاطاتٍ جامعةٍ للشباب والشابات، مسيحيين ومسلمين، من مختلف الطوائف، معتمِدًا على التعارف عن قُرب، لتبديد الأوهام بينهم، وتصحيح الصور النمطية السلبية، ومعالجة الأحكام المسبقة.

مِن هنا، تطورت رؤية المطران حداد

للعلمانية، التي نادى بها في وجه الطائفية، التي أجَّجت الصراعات في المجتمع اللبناني، مركِّزًا على العلمانية بمعناها غير المُعادي للدين، والتي تُراعي مقتضيات أوضاع بلادنا الاجتماعية والسياسية والثقافية، ولا تُلغي الطوائف. فهي ليست علمانية مُلْحدة، بل تتبنى المُواطَنة الواحدة المؤسَّسة على المساواة والعدل والحرية.

"معركة الإنسان واحدة ومتنوعة، وهدف الإنسان في معركته أن يصبح كل إنسان إنسانًا."

https://al-akhbar.com

لم أكـــن أبكـــي،
لأننـــــي أردتُ
أن أُحـــــوِّل
الدمعـــــة
والحُرقـــــة
في داخلـــــي
إلى عمـــــل،
وإلى عطـــــاء.

ربـــــاب الصـــــدر

المُناضِلة من أجل كرامة عيش الفتيات والنساء
المهمَّشات ومِن أجل الحوار بين الأديان

https://en.irna.ir

سيرتها

وُلدت في الرابع من شهر نيسان/أبريل عام ١٩٤٤، في أحد أحياء مدينة "قُم" الفقيرة في إيران. فكبِرَت في بيت من بيوت العلم، وكانت طفلةً مُشاكسة بين إخوتها الذين أحبُّوها ورعَوْها. تُوفِّي والدها العلاَّمة المَرجِع السيد "صدر الدين الصدر"، وكان لها من العمر تسع سنوات. فكان لذلك الفَقدِ، الأثرُ الكبير في فتاة صغيرة، في أول تَفتُّح وعْيِها بهذه الحياة، إلاَّ أنّ وُجود إخوتها حولها واحتضانَهم لها، ولا سيما رعاية أخيها السيد موسى الصدر، عَوّض جزءًا كبيرًا من هذا الغياب. لم تكن الحياة أمامها معبَّدة بالورود، لكنها رغْم كل المشقات، آثرَت أن تَمضي في الطريق الذي قُدّر لها إلى نهايته. "فما هذه الحياة إلاَّ مَسيرة كَدْح إلى الله، لنَلقاه بقلب سليم، يوم لا يَنفع مال ولا بنون" (ذلك ما تُردِّده دائمًا).

في عام ١٩٥٩، عادت مع أخيها إلى أرض أجدادها في "صُور" جنوب لبنان. وهناك، بدأت معه رحلة طويلة امتدت إلى اليوم. وهي رحلة رعايةِ المستضعَفين، ومَنْجِهم الأمل والحب والدعم وكلَّ ما يمكن، لأجل أن يَحظوا بحياة كريمة. وبعد نحو عامين من استقرارها في "صُور"، وتحديدًا في عام ١٩٦٢، أسَّسَت مع أخيها "دار الفتاة" لرعاية

> كُلّ الناس فيي إمكانهم أن يكونوا مُهمّين، وفي إمكانهم أن يُعطوا وأن يعملوا.

النساء وتدريسهن، وتطوير قدراتهن، وتعليمهن فنون الحياكة والتطريز والتدبير المنزلي والإسعافات الأولية. ورغم محدودية الموارد المادية، استمرَّت في إدارة الدار بدافع من الحب والعطاء، وصار هذا العمل ينمو رغم كثير من الانتكاسات التي عرَضَت لها في الطريق.

تأسَّسَت "دار الفتاة" عندما كانت المرأة حبيسة البيت والأدوار المحدودة، التي أَطَّرَها بها مجتمعٌ يَرْزح تحت صنوف من الحرمان الاجتماعي والاقتصادي. لذا، كانت مهمة السيدة رباب في رعاية المرأة، متقّمة لدَور أخيها السيد موسى الصدر في نهضة المجتمع ككُلّ، بنسائه ورجاله. في ذلك الوقت، تزوجت من الأديب السيد حسين شرف الدين، وأنجبت أربعة صبيان، غيْرَ أنَّ واجبات العائلة ومهمَّات الأمومة، لم تحُلْ دون التزامها المشروعَ الذي بدأته. وقد كان زوجها من أبرز الداعمين لها. وهكذا، كان البيت ورعاية أهله، وعملها الاجتماعي، جزءَيْن لا يُلغي أحدهما الآخر، حيث أخلصَت لهما على السَّواء. أمَّا تاريخ ٣١ آب/ أغسطس عام ١٩٧٨، فكان يومًا مشؤومًا في حياة السيدة رباب، إذْ غُيّب أخوها الإمام موسى الصدر مع رفيقَيه في ليبيا. فشكَّل اختفاءُ الإمام المحطةَ التي غيّرت حياتها إلى الأبد. كانت صدمةُ فقدان السندِ والمعلِّم والرمز، أكبر من أن تُحتمل. لكن، بحسب قولها: "لا يجوز للإنسان المؤمن أن ييأس".

عملُها الخيري مع الناس ”يساوي في منزلته منزلة الصلاة، التي هي عمود الدين. فهل يتركها الإنسان إنْ أصابته مصيبة؟!“. وهكذا، استأنفَت -رغم فاجعة الغياب والعيش القَلِق وانتظار ما لا يأتي-، حمْلَ راية العطاء والعمل الإنساني، مستهدِيَةً بوصايا أخٍ، لم يَعرف التمييز بين الناس على أيِّ أساسٍ ديني أو عِرقيّ أو جنسي أو أيِّ تصنيف كان، لأننا جميعًا إخوة في الإنسانية.

كبِرَت ”دار الفتاة“، وصارت مؤسسات الإمام الصدر في ”صُور“، عبارة عن مؤسسات تربوية وفكرية واجتماعية وصحية. ورغم ما مرّ على هذه المؤسسات من استحقاقات وتحديات، بسبب العدوان الإسرائيلي والحرب الأهلية اللبنانية والعوائق المادية، إلا أنها استمرت تنمو وتَخدم الناس بكل ما كان مُتاحًا.

فِكرهـــــــــــــــا

اليوم، تَبلغ السيدة رباب ٧٦ سنة. لا تَعرف معنى السَّأَم والتعب. إنه الواجب الذي يُبقِي الإنسان رغم تَقدُّم العمر فَتِيًّا، وروحه مفعمة بقوة الشباب وتَفاؤلِه. فنراها تُديم التفكر في مشاريع وطُرق جديدة حول ما ستفعله غدًا وفي المستقبل، لأن الإنسان خليفة الله في أرضه، يعمِّرها ويَبنيها بكل ما يرسم الفرح، ويرفع الهموم عن صدور المتعَبين. كان الطريق واضحًا منذ البداية، وهو أن خدمة الناس ونهوض المجتمع يقرِّبان إلى الله. فصار الطريق بعد غياب الأخ أوضح، رغم ما اعتَوره من الصعوبات. وبالفعل، تَكلَّل بالكثير من الإنجازات على مستوى دعم الفقراء والأيتام والمهمَّشين، وتقديم الحياة الكريمة من دون منّة ولا أذى.

ورغم كل المناصب السياسية التي عُرضت عليها، فقد عرض عليها أن تكون وزيرةً في الحكومة اللبنانية ثمان مرات، لكنها أعرضت عن السياسة بسبب اتِّسامها بالفساد في لبنان، ولأنها اعتادت أن تكون قريبة من الناس ومع الناس على الأرض، بعيدًا عن المحاصَصات والمهاتَرات التي يتميز بها النظام السياسي اللبناني، والذي أثبت أنه كان في عالم آخر بعيدًا عن الناس، وسببًا في تعاستهم وشقائهم. فكانت تعتذر إلى من يريدون تكريمها بمنصب سياسي قائلة: "دائمًا اطلُبُوني لعمل الخير، حتى ولو في منتصف الليل وفي أي مكان، فستجدونني حاضرة".

لم تمنعها كثرة الأعمال والمهمات، من أن تُكمل دراستها ونيل الدكتوراه في الفلسفة في عُمر متقدم، لتُعطِي دروسًا في التحدي والأمل والشجاعة. وقد تمحورت أطروحتها حول الفلسفة العملية للإمام "موسى الصدر". وهكذا، فإن حياتها كانت تطبيقًا عمليًّا لمبادئ إنسانية جليلة.

> **الحوار مِثل الصلاة. إنه واجبٌ أكثَرَ مِنه خِيار. هو أساس حياة الإنسان منذ خَلْق آدم وحوّاء. لذلك، ما مِن سبب يبرِّر رفضه.**

"أرَى اللـــــــــــهَ
عندمـــــا أُكَفكِـــف
دمعـــــــــــة،
وأَخـــــــــدم
محتاجًـــــــــا."

كلّ فنّ له فلسفة،
ويُعطيك طاقة مختلفة،
سَواءٌ في فنّ الرسم
أو الموسيقى أو العزف أو الغناء،
أو الأشياء الأُخرى من الفنون،
مثل فنّ صناعة السَّجّاد،
أو فنّ صناعة الفضّة،
أو صناعة الأزهار.
لكن، علينا أن نفهم هذه الفلسفة
لكي نُعلِّمها ونُثقِّفها.
نحن في المؤسسة،
قبْل أن نُعلِّم البنات نتحدّث
إليهن في البداية ونُهيِّئُهنّ،
ونحكي لهن عن فلسفة
الفنّ وقيمته في حياة الإنسان.
فلا يتعلّمن كلُّهن التمريض
مثلًا أو غيره من المهن المتداولة؛
إذ الفُرَص متاحة أمامهن
لكي يتعلمن فنّ الحياكة،
أو صناعة الأزهار،
أو الرسم، أو الأشغال اليدوية،
أو ما إلى ذلك من فنون
تَصنع الفارق في حياة
الإنسان إلى الأفضل.

نعيش مع الأولاد، ومع صغارنا في عُمر الثلاث سنوات. نعيش الحوار الإسلامي المسيحي عمليًا، ولا نتحدَّث به لكي يكُون إنشاءً عربيًا فقط. في لقاءات بعضنا مع بعض، وفي زيارات بعضنا لِبعض، نحن نزورهم، وهم يزورونا. وفي زياراتهم لِلكنائِس، يذهبون إلى الكنيسة والخوري يُخبرهم عن السيّد المسيح، ويذهبون إلى الجامع والشيخ يُخبرهم عن الأنبياء والنبي والأئمة سلام الله عليهم، يعني يعيشون بتساوي الفِكرة.

أَظـــلُّ أُفكِّـــر وأجـــد
خطوطًـــا جديـــدة،
أظـلّ أجِـدُ طُرقًـا جديـدة،
أظـلّ أبْـدَأ بمشروع جديـد،
أظـــلّ أُفكِّـــر فيمـــا
سنفعلـــه غـــدًا
وبعـــد شهـــر وبعـــد
عـــدّة أشهُـــر،
أبـــدًا؛ لأنـــه لا يجـــوز
للإنســـان المؤمـــن
أن ييـــأس.
هـــلْ تَعْلـــم أنّ اليـــأس
من الذنـــوب الكبيـــرة؟
«لَا تَقْنَطُـوا مِن رحمة الله»،
أيْ لا يمكننـــا أبـــدًا
أن نيـــأس من نِعَـــم الله،
ومن رحمـــة اللـــه.
علينـــا أن نسعـــى،
وأن نُفكِّـــر،
وأن نعمـــل ونتعـــاون.
نريـد أن نبنـي هذا الكـون،
ونريـد أن نعمِّـر هذا الكـون،
ونريـــد أن نُطـــوِّره.

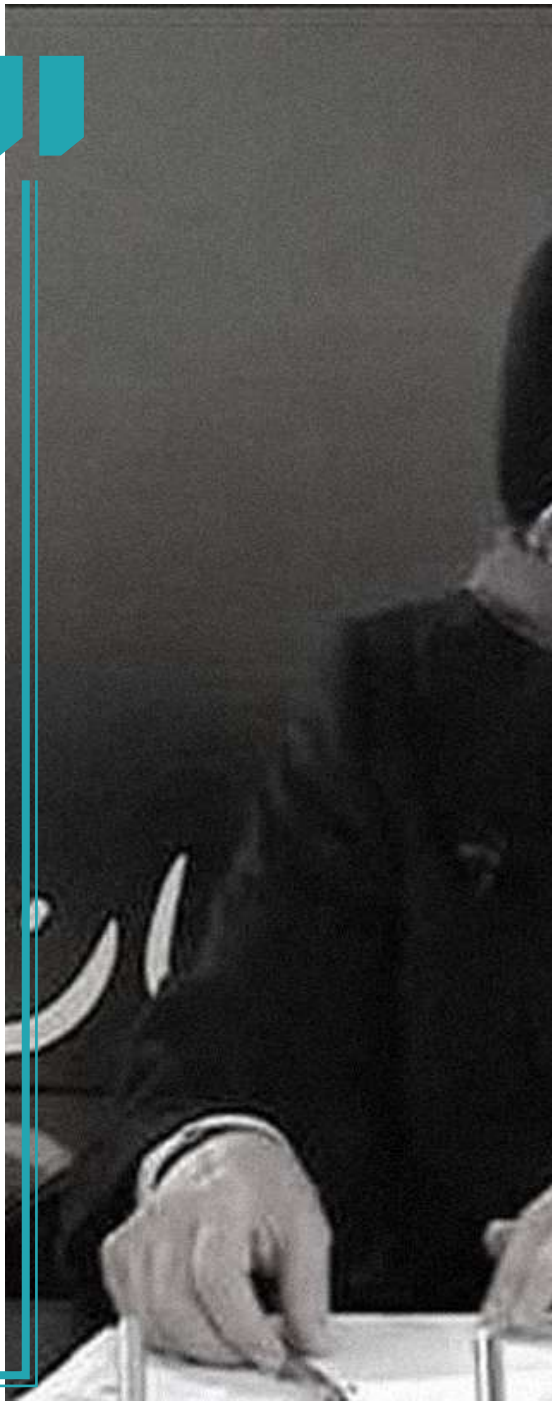

لا معنى لأيِّ مُنشَأة تربوية، إذا تغافلَت عن التجسير بين الناشئة والشباب اللبناني (أفرادًا أو مجموعات)، أو إذا تهاونَت في تأهيلهم للإسهام في بناء الوطن والغد. لطالما كان تسييرُ الحوار، وبناءُ المهارات المتصلة بحلِّ النزاعات، وتعزيز فُرَص التنشئة على المواطَنة، وعلى التفاوضُ والوصول إلى تسويات مُرْضية لكل الأطراف، وبناءُ الشخصيات المستعدة للتسامح، والتثقيفُ على السِّلم والمودّة عند الأطفال وذويهم كلُّ ذلك يُعَدُّ من التحديات الإستراتيجية التي تُوجِّه مبادرات مؤسسات الإمام الصدر، وتؤشر إلى تحقيق غاياتها البعيدة الأمد، والمتمثلة في بناء المستقبل الآمن، الواعد، والمتَّجه نحو الكمال.

نحن نؤمن بأنّ
كلّ شخص منّا
محبوب من الله.
يسوع أعطانا أباه،
وأعطانا أُمَّه،
وأعطانا الرّوح القُدس،
وروح المحبّة.
إنّه يخاطب
كُلًّا منّا قائلًا:
لا تخَفْ،
لأنّي دائمًا
معك وأُحبّك.
بالمحبّة تتّسع
الحياة لكلّ إنسان.

إيفون شامي

المُناضِلة من أجل كرامة الشخص ذو إعاقة

https://sesobel.us

سيرتها

وُلدَت إيفون شامي في لبنان، في الثامن من أيار/مايو سنة ١٩٣٨. بدأتْ مسيرتَها كممرِّضةً، ومساعِدةً اجتماعيّة، وقابلةً قانونيّة، على إثر اندلاع الحرب عام ١٩٧٥. وبعد عودتها إلى لبنان من فيتنام التي أمضت فيها ستّ سنوات، عملت مساعِدةً للبروفسور إرنست مجدلاني في مستشفى مار جرجس في الأشرفية، حيث اكتشفَت "اختفاء أطفال حديثي الولادة، وتحديدًا ممّن يعانون إعاقاتٍ ذهنيةً أو جسديّة"، لِتَعلم فيما بعد أنّهم يُرسَلون إلى مؤسّسات (مِثل: دَير الصّليب)، ليعيشوا في عزلةٍ تامة عن العالم. فدفَع هذا الوضعُ المأساوي إيفون شامي إلى طرح القضيّة على كهنة الرّعايا[1]، والسَّعي إلى نشر الوعي، وتشجيع الأهالي على التّحدّث بهذا الواقع بصراحة. فما كان منها إلاّ أن اكتشفت الكثير من الحالات والصّعوبات الّتي تُواكب العائلات في هذا المجال. ولذلك، أسَّست مع بداية الحرب اللّبنانية عام ١٩٧٥ مؤسَّسة "سيزوبيل"، لمتابعة حياة الأطفال المصابين بإعاقة ذهنية أو جسدية منذ الولادة، ولِلسّماح لهم بعيش حياة كريمة، حتى يصبحوا بِدَورهم شُهودًا يَحملون رسالة إلى الآخرين.

١- كهنة الرعايا: هم رجال الدين المُوَلَّج إليهم الشؤون الروحية الخاصة بالرعية، ضمن منطقة جغرافية محدَّدة تقع تحت نطاق مسؤوليتهم.

اِعتمدَت إيفون شامي المقاربةَ الشّاملة، لمرافقة الطّفل ذي الإعاقة، على جميع الصُّعُد المتعلّقة بحياته، واهتمّت بالتّدخّل المُبكر والتّربية المختصّة، إمّا في البيت قبل الحِضانة، وإمّا من خلال دمجه ومتابعته في المدارس العاديّة وَفْق قدرته وحاجته. أيضًا لم توفّر أيّ جهد في مساندة الطّفل ذي الإعاقة الذهنية أو الجسدية، ليعيش حياة كريمة بفرح ورجاء، وليكتشف محبّة الله له على الرّغم من الصّعوبات الّتي تعترض طريقه. لقد أدركَت ضرورة عملها مع عائلة كلّ شخص قَيْد المتابعة، حيث ساعدَت هذه العائلات على تخطّي المصاعب الّتي تواجهها في تَقبُّلِ الإعاقة، حتّى في تجهيز المنزل إنْ لزم الأمر. إضافةً إلى ذلك، عملَت على نشر الوعي داخل المجتمع والكنيسة، للاعتراف بقيمة الطّفل ذي الإعاقة، وحقِّه في حياة لائقة مهْما كانت إعاقته.

آمنَت إيفون شامي بأهميّة المتابعة النّفسيّة ومساندة الأهل، بهدف تَقبُّل واقع الإعاقة والتّعايش معه. فلم تَبخل ببذل الجهد في تحضير الإخوة والأخوات عمليًّا ونفسيًّا ومعنويًّا، للاهتمام بإخوتهم المُعَوَّقين -بوجود الأهل أو بغيابهم-، وفي استعادة التّوازن المفقود "واكتشاف فنّ العيش بتكامل، كلّ بحسب طاقاته". وبَعْدُ، آمنَت شامي بِدَور العائلة، وبأهميّة المحافظة على وَحْدتها. فأمّنَت الدّعم بواسطة خبرات مهنيّين ومتخصّصين وباحثين في مجالات الإعاقة، وبمساعدة أطبّاء ومعالجين مختصّين في مجالات التّأهيل.

أكّدت الشامي أنّ: "الأسرة هي أجمل مشروع في العالم، وأكثر صعوبة، لأنّ المجتمع لا يُعِدُّنا للعيش معًا. لا توجد عائلة مثاليّة... دعوتي هي أن أكون دعمًا للعائلات". أيضًا نادت بِـ"اكتشاف الجواهر الكامنة في عمق كلّ إنسان؛ إذ لا بدّ من الغوص في أعماق المحيط للعثور على هذه الجواهر". وهكذا، استطاعت المؤسَّسة الّتي أطلقَتها، أن تؤمّن الخدمات المتخصّصة (الطبيّة، والنّفسيّة، والفيزيائيّة،

> **طَـــــــوال حياتـــــــك، ومهْمـــــا كـــــانت الصعوبـــــات التي تواجههـــــا، فأنـــــت أخـــــي.**

وتقويم الأعضاء...إلخ)، حيث يُحيط بالأولاد فريقٌ دائمٌ ذو اختصاصات متعدّدة. وإيمانًا منها بأهميّة متابعة رسالتها تجاه أكثر الأشخاص حاجةً من ذوي الإعاقات، أسّست عام ١٩٩٢ "أنت أخي"، لتؤمّن المنزل الّذي قد يحتاج إليه بعض هؤلاء. ويتيح "بيت الحنان" (أنت أخي) لذوي الإعاقة، العيش معًا بكرامة وفرح، ويهدف إلى أن يكُون مكان تدريب ودعم للشبان والشابات ذوي الإعاقة في حياتهم الروحية، ويؤمّن توعية المسؤولين الدينيّين لاكتشاف أهمية الأشخاص ذوي الإعاقة ورسالتهم في قلب الكنيسة والمجتمع.

استطاعت "سيزوبيل" عن طريق الدَّعمَين المحلّي والأجنبي، والمبادرات التي أطلقَتها (مثل: التحضير أو التصنيع لِلمُونة اللّبنانيّة والشوكولا والزينة، وبيعها)، أنْ تُساند المئات من ذوي الإعاقة، وُصولاً إلى دمجٍ مَدرسيّ بمساعدة وزارة التّربية ومساندة البلديّات، إذ جرى افتتاح بعض الصّفوف، لكي يتلقّى فيها تلاميذ من ذوي الإعاقة دروس المنهج المدرسيّ، ضمْن برنامج خاصّ بهم، ثم يلتحقوا بعدها برفاقهم في الصّفوف العاديّة، ويكملوا دراستهم في دمجٍ كلّي في محيطهم. فها هي مؤسّسة سيزوبيل: "تسعى لتأمين الأفضل لأولادها. فالإعاقة ليست سببًا للتّقَوقع والانزواء، بل نحن نعمل على المجتمع بأكمله ليرى في الإعاقة وجهًا من وجوه الحياة. الأهمّ هو التّعرّف إلى قيمة الفرد كإنسان بغضّ النّظر عن إعاقته، فيتمكّن من أن يصبح شاهدًا لقضيّته في المجتمع"، بحسب قول المديرة العامّة التّنفيذيّة فاديا صافي.

مهْما كان شكلك،
أو وضعك الصحي،
أو ما تمتلكه،
أو ما تعرفه،
أو مركزك أو
لونك أو دينك
فبالنسبة إلَيَّ أنت أخي.
أنت مُساوٍ لي
في القيمة
والعظَمة والأهميّة،
ومُساوٍ لكل إنسان
يعيش على هذه الأرض.
نحن نؤْمِن بأنَّ
كل ما أُعْطي لنا
من مواهب،
أُعطي لنا لنضعه
في خدمة
بعضنا البعض.

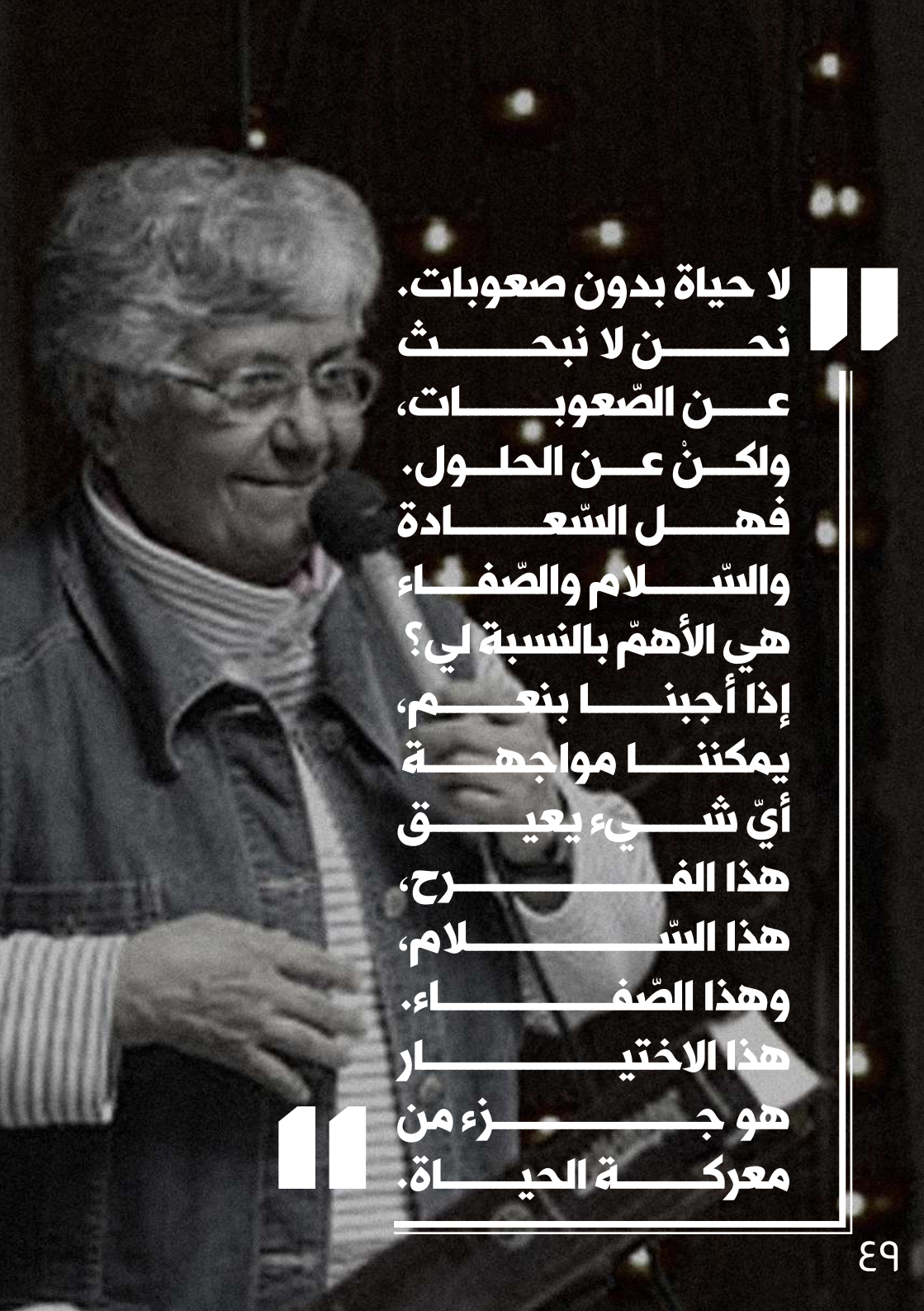

لا حياة بدون صعوبات.
نحن لا نبحث
عن الصّعوبات،
ولكنْ عن الحلول.
فهل السّعادة
والسّلام والصّفاء
هي الأهمّ بالنسبة لي؟
إذا أجبنا بنعم،
يمكننا مواجهة
أيّ شيء يعيق
هذا الفرح،
هذا السّلام،
وهذا الصّفاء.
هذا الاختيار
هو جزء من
معركة الحياة.

نشَرت إيفون شامي التّضامن البشري من حولها، إذ فُتِحَت المؤسّسات الّتي أطلقَتها لكلّ محتاج من دون استثناء. وأعلنَت إيمانها بروعة كلّ إنسان بِغضّ النّظر عن طاقاته وقدراته، وسعَت إلى نشر الوعي في مجتمعها وكنيستها بحيث قاربت نظرة المجتمع من حولها مدركةً أنّ أيّ شكلٍ من أشكال الإعاقة لا يُلغي كرامة الإنسان. أيضًا آمنَت بأنّ: "حجر الزّاوية في نجاح كلّ شيء، هو العلاقات البشريّة المرتبطة بحقيقة الوجود". تصف الحاضرين ضمْن رسالتها في كلٍّ من "سيزوبيل" و"أنت أخي"، قائلةً: "شبابُنا هم مِثل القُربان المقدّس[٢]. شكلُهم الخارجي لا يُعبّر عن جوهرهم، وعمّا هو حاضر في عمق أعماقهم". فكلّ إنسان -مهْما كانت ظروفه- ينبغي أن يعيش الفرح والسّلام مع نفسه ومع الآخرين، وهو مَدعُوّ إلى حياةٍ كريمة، وإلى اكتشاف محبّة الله له. وكانت المؤسّساتُ الّتي أطلقَتها، من الأوائل في رعاية ذوي الإعاقة، بصرف النّظر عن انتمائهم الدّيني أو السّياسي أو العِرقي أو المناطقي أو مستواهم الاجتماعي.

نظرَت إيفون شامي إلى كلّ إنسان لا سيّما الأكثر ضعفًا، ورأت فيه قلبًا نابضًا، وجسمًا مكبّلاً لا يستطيع تلبية طموحات هذا القلب الكبير. فسعَت للغوص في أعماق هذا القلب، لتمدَّ له يد المحبة والتّضامن البشري. فبِقدر ما يكتشف "الإنسان أنّه مُقدَّرٌ ومُحَبٌّ، يستطيع الكشف عن ذاته".

> **"إننا لا نَحلُّ المشاكل من خلال السياسات والمراسيم وسنِّ القوانين. فعندما تُحّل المشاكل في هذا العالم، يكون هنالك شخص ما، في مكان ما، اكتُشف هذه المشكلة، وكأنها وسيلة تحرق جسده. فأَصبح إخماد هذا الحريق هدفَ وُجودِه."**

٢- القُربان المقدّس: هو سِرٌّ من أسرار الكنيسة، يُشير إلى حضور الرب يسوع للتذكير بالعشاء الأخير، الذي تناوَله يسوع بصحبة تلاميذه عشيّة الآلام. والقربان المقدس هو قطعة صغيرة من الخبز (البرشان)، تُشير إلى حضور الرب يسوع الفعلي.

الإيمان بالله لا يمْكن أن نعيشه، إلَّا كخيار شخصي و اقتناع نابع من القلب، لأنه بخلاف ذلك يصبح ثِقْلًا على قلوب ليس فيها مكان لمعرفة الخالق ومحبتِه. والإكراه لا يمْكنه أن يَلد إلَّا نفاقًا.

أسماء المرابط

المُدافِعة عن حقوق النساء من منظور روحاني تَحرُّري

سيرتها

إلى جانب اختصاصها في علم الطب الإحيائي، انكبَّت المفكِّرة المغربية أسماء المرابط على الكتابة في مجال "النساء والإسلام"، برؤية إصلاحية انبثقَت من المرجعية الإسلامية. فقدَّمَت من خلالها قراءة جديدة للنصوص المؤسِّسة[٢]، تعتمد الرؤيةَ الشمولية، وتتجنب القراءة التجزيئية، وتُراعي المقصد التحريري لرسالة القرآن.

كان اندلاع حرب الخليج في التسعينيّات، بمنزلة مَسار جديد في حياة أسماء المرابط، شكّل لديها أوَّل صدمة روحية، جعلَتها تُعيد النظر في الغرب الذي انبهرت به، وتعيش صراعًا داخليًّا بين سؤال الهوية والانتماء والنموذج التحرري الغربي. فدفعها ذلك إلى مراجعة الأفكار المترسِّبة عن الإسلام والمرأة، والتمييز بين الإسلام وتَمثُّل المسلمين للإسلام. ومِن ثمَّة بدَأ مشوارها البحثي من خلال الاطِّلاع على كتابات المفكرين الرُّوَّاد، مثل: علي شريعتي، والمهدي المنجرة، ومحمد عابد الجابري، وغيرهم.

تُوِّجت المرحلة الجديدة في حياة أسماء المرابط بأوَّل إصدار لها: "مُسْلمة وكفى" (٢٠٠٢). بحثَت فيه عن الذات والهُويّة، لتجدها

٢- النصوص المؤسِّسَة: اي نصوص القرآن والحديث.

> كُلُّ مِساس بحقوق المرأة هو مِساس بكرامتها كإنسانة خلقَها الله حرَّة ومُكرمة.

في الدِّين، وفي أحضان القرآن. فقالت: "اكتشفتُ روعة القرآن وجماله، ودُهشتُ وأنا أَدْلِف بين يدَي رسول الله صلى الله عليه وسلم للتعرف إليه". ولإيمانها بأن المرأة المسلمة اكتسبَت قوَّتها من إدراكها للمفهوم التحريري للإنسان، خصَّصت كتابها الثاني لـ"عائشة زوجة النبي أو الإسلام بصيغة المؤنث" (٢٠٠٤).

اِستمرَّت أسماء المراط بكثير من الحماس والإيمان العميق، في هذا المسار الفكري. فألَّفت الكثير من المقالات والمحاضرات، وكُتبًا بالفرنسية والعربية، تُرجِم بعضها إلى لغات كالإنجليزية والإسبانية. وكلُّها يصبُّ في الدفاع عن حقوق المرأة المسلمة، وتصحيح المفاهيم المغلوطة الناتجة من الأفكار المسبقة، والتفسيرات الجامدة للنصوص الدينية. منها:

"القرآن والنساء: قراءة للتحرر" (٢٠٠٧)، "Femmes Islam Occident, Chemins Vers L'universel"2011, "Femmes et Religions, Points de Vue de Femmes du Maroc " 20 ",2014 Questions And Answers On Islam And Women From A Reformist Vision", 2016 ...

حازت أسماء المرابط جوائز دولية، منها جائزة "الأطلس الكبير" دورة ٢٤ (٢٠١٧)، الصادرة عن المركز الثقافي الفرنسي بالمغرب، عن كتابها: "Islam Et Femmes: Les Questions Qui Fâchent"، وجائزة "الأطلس الكبير" دورة ٢٢ (٢٠١٥)، عن

فئة الترجمة لكتابها: ''النساء والرجال في القرآن: أية مساواة؟''، ترجمة بشرى لغزالي، وجائزة ''منظمة المرأة العربية في العلوم الاجتماعية'' (٢٠١٣)، عن كتابها: "Femmes Et Hommes Dans Le Coran: Quelle Egalité?".

أيضًا شغلَت العديد من المراكز العلمية، إذ ترأَّسَت بين عامَي ٢٠٠٨ و٢٠١٠، المجموعة الدولية للدراسات والتفكير حول النساء في الإسلام ''GIERFI'' ببرشلونة، وترأَّسَت بين عامَي ٢٠٠٨ و٢٠١٨، تسيير أوَّل مَركز يُعنى بالبحث في قضايا النساء في الإسلام، داخل مؤسسة دينية في العالم العربي: ''مركز الدراسات والبحوث في القضايا النسائية في الإسلام''، في الرابطة المحمدية للعلماء.

عُيِّنت سنة ٢٠١٣ ضمْن اللجنة العلمية الخاصة بالتحضير لمشروع قانون إحداث هيئة المناصفة، ومحاربة كل أشكال التمييز، بإشراف وزارة التضامن والمرأة والأسرة والتنمية الاجتماعية. هي أيضًا عضو اللجنة العلمية لمعهد حقوق الإنسان بالمغرب، وتَشغل حاليًّا عضويَّة المكتب الاستشاري للشبكة الدولية ''مساواة Musawah''، وعضوية مؤسسة Nordic Center السويدية . أيضًا هي مسؤولة منذ أذار/مارس ٢٠١٨، عن كرسي الجندر داخل المؤسسة الأوروالعربية في جامعة غرناطة. ومنذ سنة ٢٠١٤، تُحاضر في الجامعة الصيفية الدولية بغرناطة في إسبانيا، حول: ''الرؤية الإصلاحية والديكولنيالية في الإسلام'' Critical Muslim Studies, Decolonial struggles and Liberation Theologies

استطاعت أسماء المرابط أن تقدّم رؤية جديدة وطريقًا ثالثًا لموضوع المرأة في الإسلام، بين الرؤية التقليدية التمييزية والرؤية الغربية المهيمِنة، بِفضْل محاضراتها داخل المغرب وخارجه، وعن طريق إصداراتها المطبوعة وكتاباتها المنشورة في مَوقعها الرسمي http://www.asma-lamrabet.com/ وصفحاتها الاجتماعية.

انطلاقًا من حضورها القوي في وسائل الإعلام المكتوبة والمقروءة، وتَميُّزها في مجال حقوق النساء، وانفتاحها على الثقافات الأخرى، وتَبنِّيها لغة الحوار مع مختلف الفاعلين في قضايا نساء -بحُكم خبرتها المكتسَبة من التجربة الدبلوماسية، وإتقانها للعربية والفرنسية والإسبانية والإنجليزية-؛ صارت كتاباتها جسرًا بين النساء المسلمات في الغرب، ومَحطَّ اهتمام كبير، سواءٌ من طرَف المهتمِّين أو المعارضين.

> القيام بأية نهضة حضارية في مجتمعاتنا، لن يتحقق إلَّا بالرجوع إلى المعنى الأصلي والأخلاقي للرسالة الروحانية للقرآن، وباستعادة نظرته العادلة في التسيير والبناء لحضارة إنسانية حقيقية ومتوازنة. ولا يمكن إعادة بناء هذه الرؤية الحضارية دون إشراك النساء، لأنهنَّ -كما قال الرسول الكريم (ص)- شَقائق الرجال[1].

1- أي نَظائرهم وأمثالهم.

الحريـــة والكرامـــة،
تُجسِّـــدان الجوهـــر
الروحـي لكـل إنسـان.
فـأيُّ شـيء يمنعـك
من أن تكُـــــون
حـــــرًّا ومُكرمًـــا،
يتعـــارضْ قطعًـــا مع
إنسانيتـــــك.

بحسب أسماء المرابط، أنَّ أغلب آيات القرآن المتعلقة بموضوع المرأة، أُخرِجَت من سياقها النَّصّيّ والتاريخي، وفُسِّرت حرفيًّا؛ ما أدَّى إلى ظهور الرؤية التمييزية تجاه المرأة. بعضُ الآيات المتعلِّقة مثلاً بالشهادة ومسؤولية القِوَامة للرجال وحِصص الميراث وغيرها، هي في معظمها آيات استجابت لسياق تاريخي ومجتمعي معيَّن، كانت فيه المرأة محرومةً أغلبيَّةَ الحقوق حتى الإنسانية. فجاءت رسالة القرآن لكي تعالج هذا التميز. ولهذا، يجب إعادة تفسير هذه الآيات، مع مراعاة نظام مجتمع الرسالة ومدى تطوُّره مع الوحي ومَقاصده.

ومِن أهمِّ مقاصد القرآن، تحسينُ وضع النساء، بل والأيتام والأطفال والمُسِنِّين وجميع المضطهَدين. لذا، بدلاً من التوقُّف عند حرفيَّة هذه الآيات، يجب إعادة قراءتها في سياقها، أيْ ضمْن الرؤية الشمولية التصحيحية للقرآن، وفي ضوء المبادئ الكلية لِلرسالة الروحية، مثل: المساواة بين جميع البشر، والعدل، والإحسان. لذلك، بالنسبة إلى أسماء المرابط، نحن في أمسِّ الحاجة إلى مقارَبة دينية جديدة وشاملة، تحتوي تلك المبادئ، كالعدالة والمساواة والكرامة والرحمة، تجاه النساء وجميع البشر.

> رسالة الإسلام الروحية لم تتعارض قط مع قيمة الحرية أو التحرُّر الإنسانية، بل على العكس من ذلك، ما جاءت هذه الرسالة إلا للتأكيد على هذا البُعد التحرُّري، الذي هو جوهر الدين الإسلامي. وما جاء الابتعاد عن هذه القيمة إلَّا من خلال بعض التأويلات والتفسيرات الحَرفية التي أسَّسَت لهذه الأفكار الخاطئة في كثير من العقليات.

يمْكن تصنيف هذه الرؤية، بكونها حداثية وروحانية وديكولونيالية. وتعني هذه الرؤيةُ الديكولونيالية التحرُّرَ من التبعية العمياء أَلِلتَّقاليدِ كانت أمْ لِلفكر المهيمِن العالمي، الذي يريد فرض نموذجه على جميع المجتمعات. إنّ الرؤية الديكولونيالية تعني في آخر المطاف التحرُّرَ من كل ما يَسلب حريتنا، وينتهك كرامتنا، أَباسْم قراءةٍ خاطئة وزائفة للدِّين كان ذلك، أَمْ بِاسْم عَولمة مهيمِنة وغير مُنصِفة.

في اشتغالها على موضوع النساء، تُمثِّل أسماء المرابط طريقًا ثالثًا، يَمزج بين التمسك بمبادئ الإسلام والانفتاح على القيم الإنسانية العالمية، ويتبنَّى مقارَبة فكرية مستمَدَّة من جوهر رسالة الإسلام، برؤية إصلاحية أساسُها فتحُ المجال لتفسير النصوص الدينية، ومقاربتُها مقارَبة متجددة واجتهادية، تَهدف إلى إخراج موضوع المرأة من ثنائية الإيديولوجيات المتحكِّمة، التي يمثِّلها التَّوجُّهُ العلماني الراديكالي، والتوجُّهُ الإسلامي التقليدي، اللَّذَان وضَعَا موضوع النساء في مأزق فكري لا مخرج له، يتأرجح بين الفعل وردِّ الفعل. فتقول : ''تعني إعادةُ التفكير في موضوع النساء ''التخلُّصَ'' أوَّلاً وقبْل كل شيء، من ذلك الخضوع لمنظور ''التقليد'' السلبي، وفي نفس الوقت من تلك الرؤية المنحصرة في الحداثة ''المجرَّدة'' من أية مَرجِعية دينية. ولهذا، نقترح رؤيةً ثالثة إصلاحية جديدة ومعاصرة، قادرة على إعطاء دينامية جديدة، لتحرير النساء المسلمات من الجهل وظلم التمييز، وإخراج هذا الموضوع من دائرة التفاسير السطحية والمتجاوِزة، التي تُعطَى له بِاسْم قراءة مُحافِظة عَفَّى عليها الدهر...''.

رسالة الإسلام الروحية لم تتعارض قط مع قيمة الحرية أو التحرُّر الإنسانية، بل على العكس من ذلك، ما جاءت هذه الرسالة إلا للتأكيد على هذا البُعد التحرُّري، الذي هو جوهر الدين الإسلامي. وما جاء الابتعاد عن هذه القيمة إلَّا من خلال بعض التأويلات والتفسيرات الحَرفية التي أسَّسَت لهذه الأفكار الخاطئة في كثير من العقليات.

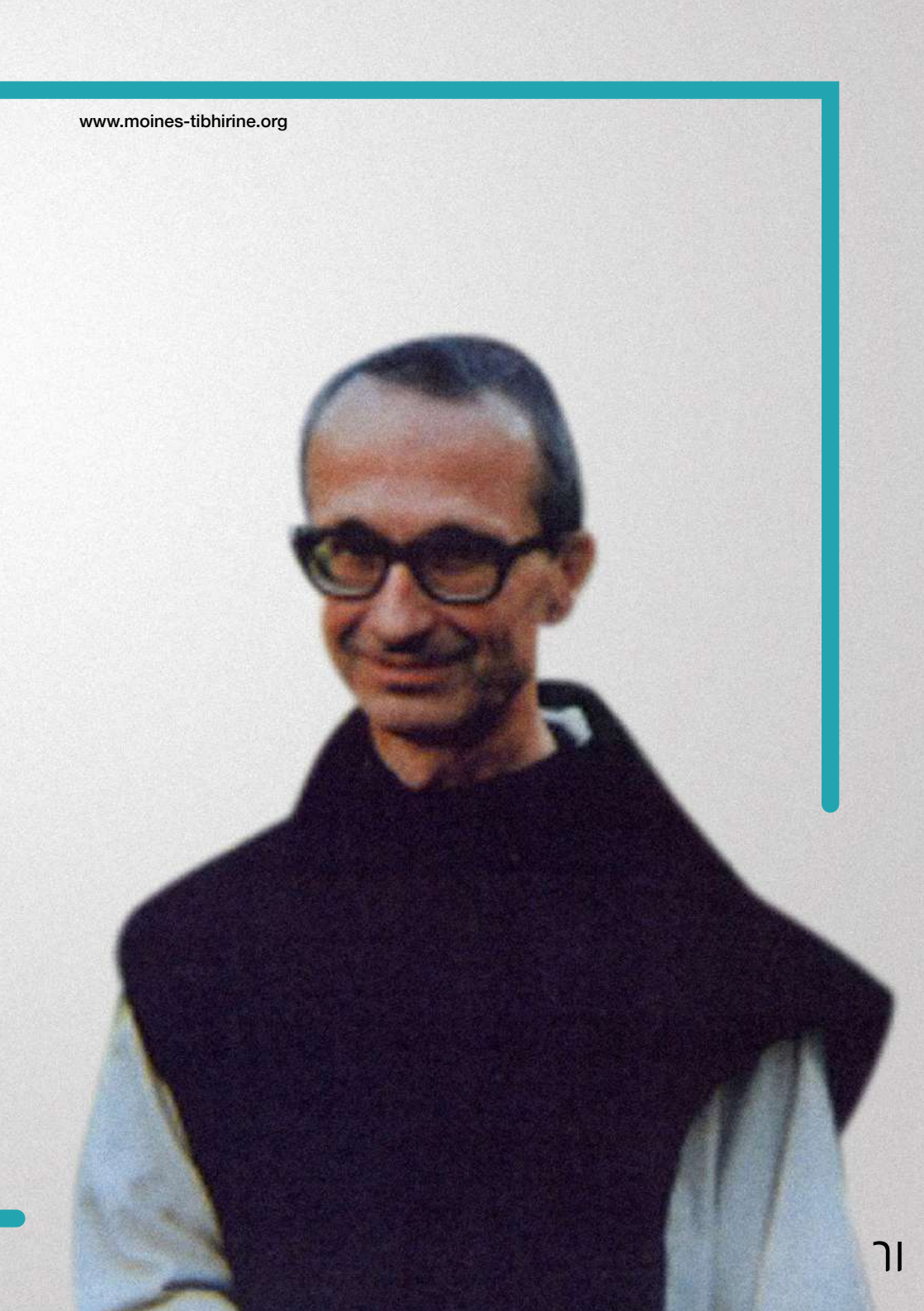

إنـــي أعْـــرِف الاحتقـــار
الـــــذي أُصيـــــبَ
بـــــه الجزائريـــــون،
وقـــــد حُكـــــم
عليهـــم بشكـــل جماعـــي.
أعْـــــرِف أيضًـــــا
الصـــورة الكاريكـــاتورية
عن الإســـــلام التـــــي
يشجّعهـــــا بعـــــض
الخبـــــراء المدّعيـــــن
معرفـــــة الإســـــلام...
أنـــا غالبًـــا ما أَجِـــد
في الإنجيـــــــل
ذلـــك الخيـــط الرفيـــع،
الـــــذي تعلَّمتُـــــه على
رُكبتَي أمي (كنيستي الأولى)...
الـــذي علَّمنـــي احتـــرام
المؤمنيـــن بالإســـلام.

(الوصية الأخيرة)

كريستيان دي شيرجي

شاهدٌ على عمق التضامن الروحي الإسلامي المسيحي والغربي العربي والأُخوَّة الشاملة

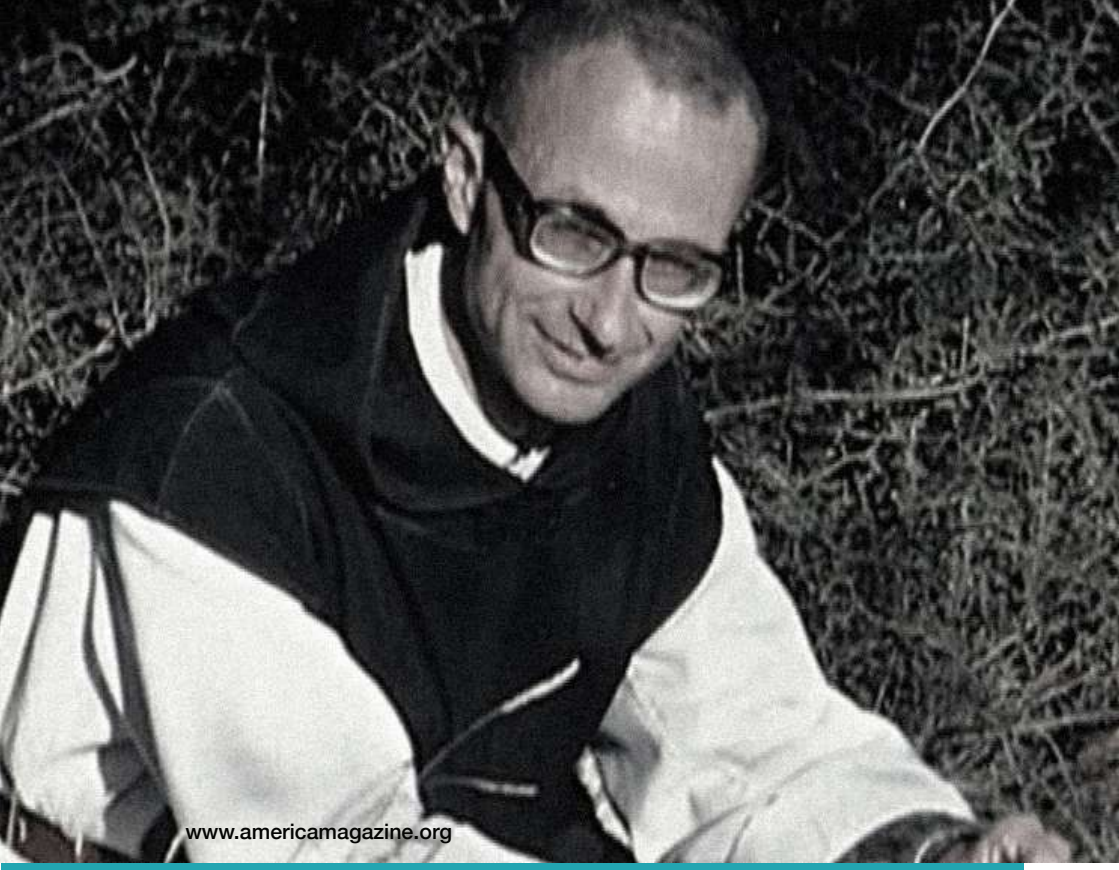

سيرتـــــــــــــه

وُلد كريستيان دي شيرجي في مدينة كولمار الفرنسية في إقليم الراين الأعلى (HautRhin)، في ١٨ كانون الثاني/يناير ١٩٣٧، في كنف عائلة مسيحية مؤلَّفة من ثمانية أطفال. تَربَّى فيها على الاستقامة والإخلاص، وعلى الإيمان والصلاة. فأَدرَك محبَّتَه للكنيسة، ودعْوَتَه الكهنوتية[1]. وقد وصف أمَّه في وصيته الأخيرة بقوله "هي كنيستي الأولى".

اِنتَقل كريستيان سنة ١٩٤٢ إلى الجزائر، حيث أمضى فيها ثلاث سنوات، واصِفًا إيّاها بقوله: "لقائي الأول مع إيمان الآخر المختلف". في سنة ١٩٤٥، عاد إلى باريس للدراسة عند الإخوة الماريست (معهد عالي للتعليم الديني الكاثوليكي)، وانخرط في الحركة الكشفية. وفي هذه المرحلة، ترسّخت لديه الدعوة الكهنوتية. بعدها، دخل الإكليريكية[2] في باريس في ٦ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٦. وأثناء تأديته واجب خدمة العلم في الجزائر سنة ١٩٥٩، تَعرّف كريستيان إلى "محمد" (شاب جزائري مسلم)، جمعَته به صداقة، انتهت بموت محمد الذي دفع حياته ثمنًا لدفاعه عن

١- كلمة كاهن تُطلَق على رجل الدين، المسؤول عن خدمة الناس في المسيحية. والدعوة الكهنوتية هي دعوة إلهية لتكريس حياة المرء لله عبْر السعي إلى توفير الرعاية لشعب الكنيسة وترأس مراسيم الصلاة، وغيرها من المراسيم الدينية.

٢- دار لِتَنشئة طلاب الكهنوت. وهي مَدرسة تُعلّم الشباب وتُثقّفهم في أصول الحياة الإيمانية والكهنوتية المسيحية، ضمْن سنوات محدَّدة قبْل الارتقاء إلى الكهنوت، أيْ قبْل أن يصبحوا رجال دين. وتتميز هذه المرحلة بمتابعة الشباب مِن كثَب من قِبل فريق من الكهنة، لتُميِّز دعوتهم الكهنوتية وتُساعدهم على قراءة مشيئة الله ودعوته لهم.

> أَوَدُّ حينما يأتي الوقت، أن أتمتّع بمساحة كافية، أَطلُب فيها المغفرة من الله ومن كل البشر، وأن أُسامِح كل الذين قاموا بإيذائي.

(الوصية الأخيرة)

كريستيان، عند مداهمة بعض المعتدين لهما. وهو الأمر الذي كان له الأثر الكبير في حياة كريستيان؛ إذ وصَف صداقتهما بقوله: إنها "المرة الأولى التي أستطيع أن أتكلم فيها عن الله بهذه البساطة، مُدرِكًا أنه (أي محمد) كان مسلمًا، ومع التأكيد على إيماني المسيحي". وفي عظة عن شهادة المحبة سنة ١٩٩٤، عبّر عن الحادثة أيضًا بقوله: "لم أنْسَ يومًا مُحمَّدًا، الذي فداني بذاته، دفاعًا عن حياتي".

بعد عودته إلى باريس، ارتُسِم كاهنًا[٣] في ٢١ آذار/مارس ١٩٦٤. وفي دير الرهبان السيسترسيان في مدينة Aigubelle الفرنسية، بدأ حياته المكرّسة (النُّذور المؤقتة[٤]) عام ١٩٦٩. بعدها، انطلق إلى روما، حيث انكبَّ بين السنتَين ١٩٧٢ و١٩٧٤ على دراسة اللغة والثقافة العربية والدين الإسلامي، في المعهد البابوي للدراسات العربية والإسلامية. وقد أشار كريستيان إلى هذه المرحلة قائلاً: "إتقان اللغة واكتشاف القرآن، بهدف الدخول في حوار مع جيراننا، كان الأهم بالنسبة إلَيَّ". في دَير "سيدة الأطلس" التابع لرهبنة الترابيست، والنائي بجبال "المدية"، الذي يُطلُّ على بلدة "تبحيرين" جنوبي الجزائر، تَرهَّب في ٢٠ آب/أغسطس ١٩٦٩. وقد أورد في الرسالة التي صاغها بمناسبة إيفائه للنُّذور المؤبَّدة[٥] في ١

٣- رُقِّيَ إلى درجة الكهنوت بحسب التقليد الكنسي، بواسطة مَسحة الرّوح القدس في رتبة وضع يد الأسْقُف على رأس المرسوم، لكي يصبح مُخوَّلاً وقادرًا على العمل باسم المسيح. وهو مُكرَّس بصِفَته مُعاونًا للأسْقُف، على التّبشير بالإنجيل، والاحتفال بالعبادة الإلهيّة، وعلى رعاية المؤمنين.

٤- هي النذور التي يُعلنها مَن اختار الحياة الرهبانية (الحياة الدّيرية)، والتي بمُوجبها يُعلن التزامه(ها) الأولي في رسالة الرهبنة، التي انضمّ إليها، وتَتبع هذه النذور بعد بضع سنوات بالنذور المؤبدة.

٥- هي النذور التي يُعلنها مَن اختار الحياة الرهبانية (الحياة الدّيرية)، والتي بمُوجبها يُعلن التزامه(ها) الأبدي في رسالة الرهبنة، التي انضمّ إليها، وذلك حتى لحظة مماته(ها).

تشرين الأول/أكتوبر ١٩٧٦، رغْبتَه في "عيش حياة مُفعَمة بالصلاة في خدمة كنيسة الجزائر، وبإصغاءٍ إلى الروح المسلمة حتى يوم مماتي".

انْتُخِب سنة ١٩٨٤ مسؤولاً عن دير الأطلس، وأُعيدَ انتخابه سنة ١٩٩٠. فكان أحدَ أبرز أركان مجموعة "رباط السلام" ومُؤَسِّسيها، التي كانت تسعى للتعمق في الحياة الروحية والصلاة في الجزائر، من خلال الترحيب بكل مَن يُؤْمن بيسوع المسيح على اختلاف أديانهم. فشَكّل هذا الرباط واحةَ لقاءٍ وسعْيًا مشترَكًا لفهم الآخر المختلف. كتَب كريستيان أنه من خلال خِبرته في "تبحيرين": "أُدرِك جيّدًا أن الله يناديا جميعًا، وأن الله خلَق الإنسان لكي يُسبِّحهُ ويُكرِّس ذاته له. الصلاة هي التي تساعدني لكي أُعطي إخوتي مكانهم الصحيح، إلى جانب العيش معًا، والذي قد يمرُّ ببعض الصعوبات. الصلاة تسمح لي باكتشاف التقارب رغم المسافة، والتكامل رغم الاختلافات".

تُظهر العديدُ من النصوص الغِنَى الروحيَّ، الذي استمدَّه كريستيان دي شيرجي في إطار إيمانه المسيحي، من خلال حياته الرهبانية، وعيشِه مع المسلمين في الجزائر. وقد كتب وصيته الأخيرة في أواخر سنة ١٩٩٣، بعد أن اقتَحمت فرقة من جماعة إسلامية متطرِّفة ومسلَّحة دير سيدة الأطلس. وعلى يد نفس الجماعة، فجر ٢٦ آذار/مارس ١٩٩٦، خُطِف كريستيان مع ستة من الإخوة المكرَّسين، ليجري فيما بعد إعلان خبر نحرهم في ٢٣ أيار/مايو ١٩٩٦. والجدير ذكره أن كريستيان -قبل عام من مقتله- كان قد كتَب في وصيته الأخيرة

أنه: "يسامح كلَّ من يَقتل. فنحن لا يمكن أن نَحيد عن طريق التسامح. فمهْما كانت النتائج، نطلب من الله أن يمدّنا بقوة الغفران". وفي الثامن من كانون الثاني/يناير ٢٠١٨، أُعلِن كريستيان دي شيرجي وإخوتُه الرهبان الذين قتلوا طُوباوِيِّين[٦] على مذابح الكنيسة الكاثوليكية.

الصلاة الرَّهبانية
والصلاة في الإسلام،
هما صلة روحية،
أُريد أن أتعلَّم منها
أكثر فأكثر تحت أنظار
الله الذي يدعونا
إلى الصلاة،
ويطلب منا بلا شك
ولو بشكلٍ غامض
أن نكُون معًا مِلحًا للأرض.
إضافةً إلى ذلك،
بعضُ القيم في
الإسلام هي بمنزلة
حوافز أساسية،
على الراهب أن يلتزمها،
ومنها: هِبةُ الذات لِلَّه،
والصلاة اليومية، والصوم،
وتوبة القلب،
والثقة بالعناية الإلهية،
والضيافة... في كل هذا،
نسعى جاهدين للاعتراف
بأنَّ ما من أحد مِنَّا يدرك
مِن أين تأتي روح القداسة،
أو إلى أين تذهب.

{Revue Chemin de Dialogue, N. 2006 ,27, p. 20}

٦- طُوباوِيّ: هو الشخص الذي تَعترف الكنيسة الكاثوليكية بكمال حياته، وبكَونه قُدوة يُحتذى بها. والتطويب هو المرحلة التي تَسبق إعلانَ الشخص قِدّيسًا في الكنيسة.

ليست حياتي أثمن
من غيرها،
أو أقلَّ ثمنًا...
ثم إنها ليست
بريئة كالأطفال.
فما عِشتُه كان
كافيًا لأُدرك
الشرّ الطاغي
في العالَم،
وأني شريك فيه،
وسوف يصيبني
بشكل أعمى.

(الوصية الأخيرة)

عاش كريستيان دي شيرجي ما آمَن به. فتَميَّز فِكرُه ولاهوتُه[٧] بمفهوم الأُخوّة الشاملة العابرة للأديان، وسمحَت له حياته الرهبانية، بأن يكرِّس مسيرته الروحية واللاهوتية لتعزيز الأخوّة بين المؤمنين. فكان اختباره باكورةً ساهمت في تسليط الضوء على أهميّة اختبارات الكنيسة المحلية، وضرورة الاغتناء بها. ولم يقتصر لاهوتُه على التعاليم والأبحاث العلمية، بل تَميَّز بعيشِه حياةً زاهدة نمَت وتعمَّقَت من خلال الآخَر. أيضًا لم ينْسَ دي شيرجي حادثة اغتيال صديقه الذي التقاه سنة ١٩٥٩. فتذكَّره في كل قدَّاس، وقارَن تضحية محمد بذاته من أجل الآخرين، بتقدمة يسوع لذاته في الإفخارستيا[٨]، وكتَب عنه: «هو حاضِر في كل إفخارستيا، في حضور يسوع الممجّد الذي وهب ذاته من أجلي ومن أجل الآخرين... فإنَّ دم صديقي الذي افتداني، سمح لي بأن أُدرك أنني مَدعُوٌّ إلى أنْ أَعيش رسالتي في هذا البلد نفسه، حيث اكتشفتُ المحبة الأسمى، التي بذلت نفسها من أجلي». هنا، يصح القول: إنَّ محمَّدًا سمح لكريستيان بأن يدرك معنى الإفخارستيا، حيث يعيش المسيحي حالة اتِّحاد مع يسوع. فأصبح الآخَر بالنسبة إلى كريستيان بمنزلة طريق، أتاحت له أن يبني إيمانه وقناعاته اللاهوتية على

> إنْ كان لدَيَّ الجرأة
> على الأمل في معاني
> «العيش معًا»،
> لِكَونه يمثّل شيئًا
> من شَركة القِدّيسين،
> فهو أوَّلًا لأنني تعلَّمتُ
> يومًا بعد يوم،
> أنَّ غاية الله من
> ذلك هي أن يدعونا
> معًا إلى «مائدة الخُطَاة».
> إنَّ الخُبز الذي نتقاسمه معًا،
> هو الثقة المطلقة
> برحمة الله اللامتناهية.

(Revue Chemin de Dialogue, N. 2006 ,27, p 22)

٧- اللاهوت: هو علم دراسة الإلهيات دراسة علمية منطقية. وقد اعتمد علماءُ اللاهوت المسيحيون على التحليل العقلاني، لشرح المسيحية بشكل أوضح. ينقسم علم اللاهوت إلى فروع كثيرة، كاللاهوت العقائدي، والأدبي، والتاريخي، والفلسفي، والطبيعي، وغيرها.

٨- الإفخارستيا: سرّ المناولة أو القربان المقدس. وهي كلمة يونانية الأصل معناها اللغوي الشّكر. وسِرُّ الإفخارستيا هو أحد الأسرار السبعة المقدسة في الكنيسة.

صخرة اللقاء به.

أدرَك دي شيرجي أن لكلٍّ منا مسؤولية تجاه أخيه الانسان: ''إن مفهموم الُأخوّة ليس بالأمر الذي يمكننا أن نتخلى عنه ضمن الحياة المسيحية... لا بل هو جوهريٌّ، ويشكّل دورًا محوريًّا، كما العقيدة بالنسبة إلى الخلاص'' (Dieu pour toujours, ١٩٩٥, p. ٤٧). لم يكتَفِ بهذا، بل وصَف الآخَر بأنه ضرورةٌ لا تَقتصر أهمية وجودها على الاحترام والمحبة المتبادلة وحسب، فكتَب: ''الكلمة صارت أخًا''، ووُضِعت على مائدة الُأخوَّة الشاملة، أي الُأخوّة الإنسانية العابرة لكل شكل من أشكال التمييز. إن هذه الُأخوَّة تقود المؤمن إلى المسامحة، وإنَّ للكنيسة دَورًا في عيشها وتجسيدها لمفهوم الأخوّة تجاه جميع المجموعات الثقافية والدينية. وبقدر ما تَنجح الكنسية في ذلك، يكُون نجاحها في تحرير ذاتها من مفهوم المنافسة، الذي يُعيق محبة القريب، ويشوّه رسالتها تجاه الآخرين.

إنَّ الآخَر -بإيمانه ومعتقداته ومعرفته السليمة لدِينه-، شَكّل مَصدر إلهام والتزام عند كريستيان دي شيرجي. فأدرَك أنه صاحب مسؤولية في الدفاع عن أخيه الإنسان، وعن إيمانه، بقوله: ''إنني أحببتُ جميع الجزائريين، حيث لم أستطع أن أنظر إلى أيٍّ منهم وكأنه لعب دور قايين إزاء أخيه''. (L'invincible Esperance, p. ٣١٣). وبعد لقائه مع ''صيَّاح عطية'' المسؤول عن الجماعة المتطرفة المسلحة، التي غزَت دير الأطلس ليلة الميلاد سنة ١٩٩٣، أدرك كريستيان التحديات التي تُحيط بمفهوم الُأخوّة، لا سيما عندما تكون هذه الُأخوّة

ضحية العنف. فأخذ بالصلاة داعيًا: ''انْزِعْ سلاحي، وانْزِعْ سلاحهم''.

أشاد كريستيان بأهمية الصلاة، ودَورها في الحوار بين الأديان. فمِن خلال الصلاة معًا يتخطى المؤمنون عتَبة اللقاء السطحي، ليدخلوا معًا واحةَ الشركة، التي تُتيح لكلٍّ منهم أن يغوص في كنوز إيمانه، ليتفاعل -وبشكلٍ أغنى- مع الآخر، ثم لِيَكتشفوا معًا الدور أو الرسالة التي يتميز بها حضور كل منهم. لقد قارَن دي شيرجي ما بين عمَل الله والصلاة، فالدعوة إلى العمل تأتي من الله -إذْ هو مَن يَعمل مِن خلالنا-، والدعوة إلى الصلاة تأتي أيضًا من الله نفسه.

تَكمن حداثة الرسالة التي عاشها دي شيرجي في قراءَتِه اللاهوتية المتميزة والمبيَّنة على الرجاء. فكان لاهوتُ الرجاء االذي عاشه ونشره من خلال حياته مع إخوته الرهبان وإخوته المسلمين في الجزائر، العنوانَ الأول الذي ميّز رسالته.

http://tamedcynic.org

لا يُقصد
بالاختلافات
أن تَفصل
بعضَنا عن
بعض،
أو أن تَدفعنا
إلى رفض الآخر.
نحن مختلفون،
لكي نفهم
أنَّ بعضنا
بحاجة إلى
بعض.

ديزموند توتو

المُناضِل اللاعنفي ضد التمييز العنصري
ومن أجل المصالحة الحقيقية

سيرتـــــــــــــــه

وُلد ديزموند توتو في بلدة كليركسدوربترانسفال (KlerksdorpTransvaal) في جنوب أفريقيا، في السابع من تشرين الأول/أكتوبر ١٩٣١، من أب مدرّس وأم خادمة في مدرسة لأشخاص مكفوفين، وكان له ثلاثة إخوة. نشأ وهو يرُاقب التمييز العنصري الذي كان يتعرّض له السود في بلاده، وكيف كانوا يُحرمون الحقوق الأساسّية التي يتمتّع بها البيض. عندما كان طفلاً، لم يكن مسموحًا آنذاك للمواطنين السود في جنوب إفريقيا بالتصويت، وكان مجتمع السود معزولاً بشكل كامل عن المجتمعات المحيطة به. وعلى الرغم من أن عائلته كانت فقيرة ومتواضعة، فإنَّ توتو وأشقَّاءَه تكيَّفوا إلى أقصى الحدود الممكنة مع الظروف الصعبة، وتمكَّنوا من الحصول على طفولة سعيدة إلى حدّ ما.

تابع توتو دراسته في جوهانسبرغ حيث تلقَّى تعليمًا جيدًا وتخرّج في عام ١٩٥٠. كان حُلم طفولته أن يُصبِح طبيبًا. لذلك، حاول دخول كليّة الطبّ، ولكنّ عجْزَه عن تحمّل التكاليف، اضطَرَّه إلى قبول منحة دراسيّة في التعليم من كلّية بريتوريا بانتو (Pretoria Bantu Normal College). وبعدها، استكمل

> "ما من مستقبل من دون مصالحة."

دراسته الجامعية، وتخرّج من جامعة جنوب أفريقيا عام ١٩٥٤. كتَب واصفًا ما انطبع في نفسه عن المرحلة الأكاديمية من حياته، وعن الأثر الذي تركه فيه أساتذته: "لقد زرعوا فينا الانطباع أنَّ السماء هي في الواقع حدودنا اللاملموسة، كما ساعدونا وشجعونا على بناء أحلامنا. وأهمّ ما تعلّمْنا أنه -على الرغم من كل العقبات التي قد نواجهها في الحياة-، لا يجب أن نتوانى عن بلوغ أهدافنا، حتى ولو كانت هذه الأهداف بُعْدَ النجوم عن أيادينا".

بدأ مسيرته المهنية مدرِّسًا في مَدرسته الأولى، واستطاع أن يؤمِّن مستوًى عاليًا من التعليم لطلاَّبه رغم القيود القانونية التي كانت قد فرضَتها الدولة لِلْحدّ من فرص تعليم الأشخاص السود في جنوب أفريقيا. بعد سنتَين من زواجه عام ١٩٥٥، استقال من وظيفته بسبب رفضه تكريس التمييز العنصري في النظام التعليمي.

بعد ذلك، الْتَحق بكليّة سانت بيتر اللاهوتية في روزيتنفيل (St. Peter's Theological CollegeRosettenville) في جوهانسبرغ لدراسة اللاهوت[١]. رُسم شماسًا[٢] أنجليكانيًّا[٣] عام ١٩٦٠، وكاهنًا عام ١٩٦١. ذهب إلى إنجلترا عام ١٩٦٢ لمتابعة المزيد من الدراسات اللاهوتية، وحصل على درجة الماجستير في اللاهوت في عام ١٩٦٦ في King's College London. بعدها، عاد إلى جنوب

١- اللاهوت: هو علم دراسة الإلهيات دراسة علمية منطقية. وقد اعتمد علماءُ اللاهوت المسيحيون على التحليل العقلاني، لشرح المسيحية بشكل أوضح. ينقسم علم اللاهوت إلى فروع كثيرة، كاللاهوت العقائدي، والأدبي، والتاريخي، والفلسفي، والطبيعي، وغيرها.

٢- الشماس هو خادم الكنيسة وهو من يقوم بمعاونة الكاهن في أداء الخدمات الدينية والصلوات الكنسية

٣- أي في الكنيسة الأنجليكانية

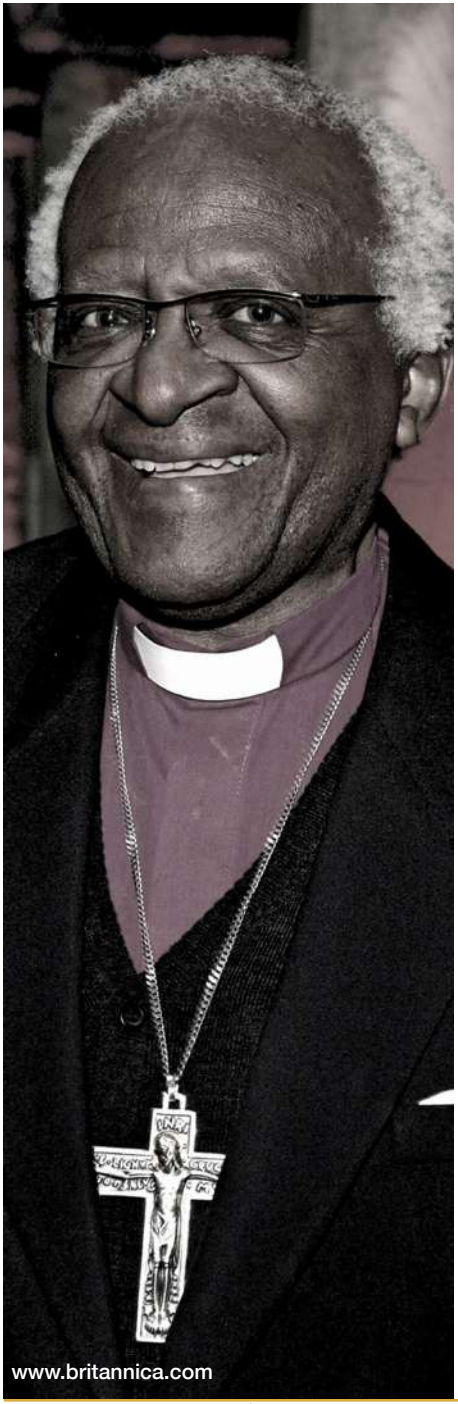

أفريقيا عام ١٩٦٧، وبدأ التدريس في كلية اللاهوت Federal Theological SeminaryAliceEastern Cape، وأصبح المرشد الروحي في جامعة Fort Hare عام ١٩٦٧. حاضَر في جامعة National University of Lesotho بين السنتَين ١٩٧٠ و١٩٧٢، ثم أقام في إنكلترا ثلاث سنوات. في عام ١٩٧٥ عاد إلى جنوب أفريقيا، حيث عُيّنَ عميدًا لِكاتدرائية[٤] سانت ماري في جوهانسبرغ. وبذلك، أصبح أول كاهن أسود يشغل هذا المنصب. وبصفته عميدًا لكاتدرائية سانت ماري، وبِفضل تقدُّمِه في العلم والمعرفة، استطاع أن يستخدم منصبه وخبرته لمحاربة نظام التمييز العنصري، الذي يتعرض له السُّود في بلاده، ومِن ثَمَّ بات المتحدث الرسمي البارز لحقوق السود.

في عام ١٩٧٦ عُيِّن أُسْقُفًّا[٥] لمدينة Lesotho، وفي عام ١٩٧٨ اخْتِير أمينًا عامًّا لمجلس كنائس جنوب إفريقيا، ما أتاح له مجالاً واسعًا لكي يُصَعِّد خطابه الرافض لكلّ أشكال التمييز العنصري في بلاده، مستخدِمًا أسلوبًا علنيًّا سلميًّا. وقام بمقارنة بين الفصل العنصري الذي تتعرض له بلاده والحكم النازي ما أثار غضبًا شديدًا لدى حكومة بلاده، التي قامت بإلغاء جواز سفره مرَّتَين. وفي حين كان نيلسون مانديلا، قائد مواجهة التمييز العنصري مسجونًا، نَشِط توتو في مسيرات الاحتجاج التي أدّت إلى اعتقاله وسجنه عام ١٩٨٠. ومع رفضه الشديد للفصل العنصري، فإنه أبقَى على سلميّة نشاطه المعارض، ولم يدْعُ -ولو مرةً واحدة- إلى استعمال أي وسيلة احتجاج عنفيّة. وكان قد كتب عن ذلك قائلاً: "لن أدعو أحدًا إلى أن يحمل سلاحًا قط. لكنني

٤- كاتدرائية: كَنيسة تُعَدُّ مَقَرًّا لِأُسْقُف الأبرشيّة. وهي كلمة مشتقة من اليونانية تَعني: «كُرسي». فالكاتدرائية «كرسي الأُسْقُف»، أي الكنيسة التي يترأس فيها الأُسقف الاحتفالات الكنسية الأساسية.

٥- الأُسْقُف: هو رأس الكنيسة المحلّيّة، ومسؤول عن عدد من الكنائس التابعة للمنطقة الجغرافية التابعة له. أمّا الكلمة، فهي يونانية الأصل، وتعني «المُراقِب». والأُسْقُفيّة هي أعلى الرُّتَب الكهنوتية.

سأصلّي من أجل الذين يحملون سلاحًا، داعيًا أن يكونوا أقلّ قساوة". وعندما جرى اقتراح دستور جديد لجنوب أفريقيا عام ١٩٨٣، لعب توتو دورًا محوريًّا في تشكيل لجنة المنتدى الوطني لمكافحة التغييرات الدستورية التي تُكرّس الفصل العنصري. فاستَخدم مَنصبه لجذب الانتباه الدولي إلى موضوع التمييز العنصري الذي تتعرض لهُ جنوب أفريقيا، ولعب دورًا محوريًّا رياديًّا في نشر الوعي بأهمية التضامن البشري، وكان دائمًا يذكّر حكومته بأن سياسات التمييز العنصري: "لا يمكن أن تنجح لأنها تتحدى إرادة الله". واجَه توتو بشكلٍ لاعُنفيّ التمييزَ العنصري والعنف المُنظَّم، اللَّذَين قادتهما حكومة جنوب أفريقيا.

"لا أحد يأتي إلى العالم مكتمِلاً.
لا أحد يستطيع أن يفكّر أو يَسِير أو يتصرّف،
إنْ لم يتعلَّم ذلك من إخوته.
كل شخص يحتاج إلى الآخرين للوصول إلى إنسانيته.
أنا كذلك، لأن الآخرين كذلك."

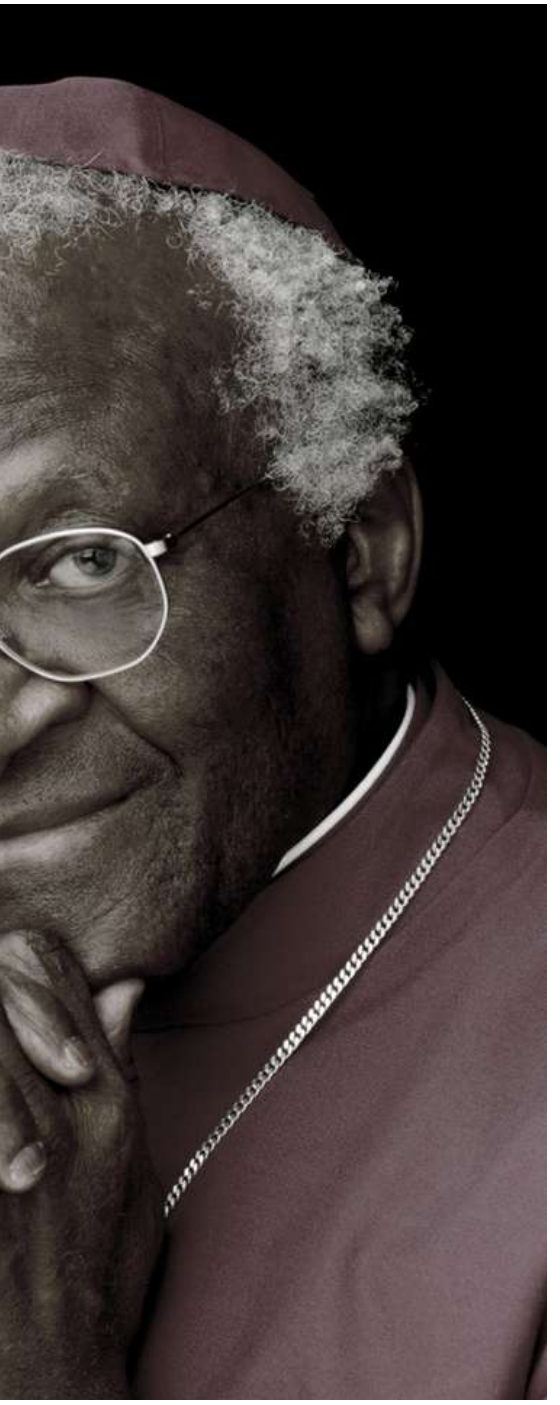

أُنْتُخب رئيسًا لأساقفة مدينة كاب تاون عام ١٩٨٦، ثم عُيِّن رئيسًا لمجلس كنائس أفريقيا بين عامي ١٩٨٧ و١٩٩٧. وفي خطابٍ له، موجِّهًا حديثه إلى الحكومة في آذار/مارس ١٩٨٨ قال: ''نحن نرفض أن تجري معاملتنا باعتبار أننا مَمْسحة، للقضاء على أوساخ الدولة''. وقد أثمرَت مقاومته اللاعنفية تحريرَ جنوب أفريقيا من نظام التمييز العنصري عام ١٩٩٣، ومِن ثَمَّ جرى انتخاب نيلسون مانديلا أول رئيس أسود للبلاد عام ١٩٩٤. فقام الرئيس مانديلا باختيار ديزموند توتو لرئاسة لجنة الحقيقة والمصالحة، حيث وضع طاقاته في مُصالحة الشعب من خلال كشف الحقيقة ونشر قيم المصالحة بين الشعب الواحد. وكان الهدف الرئيسي لِلَجْنة ''الوصول إلى المصالحة الوطنية بين الضحايا والجناة''، التحديدَ والمتابعة لجميع انتهاكات حقوق الإنسان، التي ارتُكبت في ذروة سياسة الفصل العنصري، التي بدأتها حكومة جنوب أفريقيا عام ١٩٤٨. فقامت اللجنة بتشكيل هيئة على شكل محكمة، هدفُها دعوة الشهود الذين كانوا ضحايا للانتهاكات السافرة لحقوق الإنسان، إلى الإدلاء بشهاداتهم حول تجاربهم. أيضًا سمحت لمن ارتَكب العنف بأن يُدلي بشهاداته، ويطلب العفو من الملاحقة المدنية والجنائية. وفي منتصف التسعينيات، عُرف بطلبِه الشهير من أبناء وطنه أن يكونوا ''أمّة قَوس قُزَح''، لِمَا في هذا التوصيف من أهميّة إدراك التنوع العِرقي، الذي يمّيز جنوب أفريقيا.

كُرِّم ديزموند توتو بِمَنحِه جائزة نوبل للسلام عام ١٩٨٤، عن ''دَوره شخصية قيادية موحِّدة، في الحملة لحلّ مشكلة التمييز

العنصري في جنوب إفريقيا". فكان ثاني شخصية إفريقية تنال هذه الجائزة المميّزة. ومِن أبرز ما تَضمَّنه خطابه التكريمي قولُه الآتي: "لا يمكن أن يكون هناك مستقبل من دون مسامحة، ولا يمكن أن يكون هناك مسامحة من دون محبة".

مِن أهم الجوائز التي حصل عليها: جائزة الْأُسْقُفّ جون ت. ووكر لخدمته الإنسانية المتميزة عام ١٩٩٢. وجائزة J. William Fulbright للتفاهم الدولي عام ٢٠٠٨.

"إصلاح الظلم دون إقامة العدل، ينتهي إلى جعل الواقع أسوأ."

www.thestar.com

فِكـــــــــــــــــره

كَرّس توتو خبرته في إنشاء "لجنة الحقيقة والمصالحة"، ما دفع العديد من الحكومات والمنظمات العالمية إلى الاستعانة به، لإطلاق لجان شبيهة بذلك. عمِل على التمكين والتدريب للجماعات غير الحكومية، التي تسعى إلى المصالحة، على سبيل المثال: الجماعات المتنازعة في إيرلندا الشمالية وفي Solomon Islands، وقدَّم لهم جُلّ مساعدته وخبرته في إنشاء لجنةٍ للحقيقة والمصالحة. أيضًا حاول جاهدًا مصالحة المتنازعين في كينيا، داعيًا إلى تعزيز فرص الحوار. وفي تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٨ وضع خبرته لمصالحة جزيرة قبرص المنقسمة، وشجع أهل الجزيرة الواحدة على العودة إلى طاولة الحوار، واستعادة فرص السلام. وقد انتقد فرص السلام الضائعة، والسياسة المتَّبعة من قِبل دولة إسرائيل، التي تَخلق نظامًا شبيهًا بالتميز العنصري.

لم يبخل في وضع كل طاقاته في نشر المصالحة والسلام المستدام، المبنيَّيْن على الحقيقة، وسط أبناء المجتمع الواحد، وفيما بين الأوطان أيضًا، واضعًا لذلك خبرته في تعزيز أُسس التضامن الإنساني. فكان -وما زال- يُعتبر أحدَ أهمِّ المراجع في هذا المجال، إذْ آمَن بأن الخير موجود في الطبيعة البشرية.

> **"اِصنـــع ولـــو القليـــل من الخيـــــــــــر أينمـــــا كنـــــت، فـــإن تـــلك الأجـــزاء الصغيــــــــــرة من الأشيــــــاء الجيّــــــدة مجتمعـــــــــــةً، هـــي التـــي فـــي استطاعتهـــــــــــــا أن تَمــــلأ العـــــالم."**

يقف توتو في صفّ أبرز النشطاء في مجال حقوق الإنسان في العالم، على مثال: نيلسون مانديلا، والمهاتما غاندي، ومارتن لوثر كينغ جونيور. فتَجاوزَت تعاليم ديزموند توتو حدود الوطن الواحد ومشاكله، لكي تَقُود نضال الشعوب المضطهَدة، وتُعلّم التضامن الإنساني من أجل الحرية والمساواة. ولعل ما يجعل توتو شخصية عالمية ألهمَت الملايين حول العالم في مجال تفعيل السلام المستدام بين الشعوب، هو تَفاؤله وإيمانه اللامحدود بقدرة البشر على فعل الخير. ومِن أبرز أقواله: "على الرغم من كل الفظاعة في العالم، فإن البشر صُنعوا من أجل فعل الخير".

كتَب العديد من الكتب والمقالات، من أهمها:

The Divine Intention (1982).
Hope and Suffering (1983).
No Future Without Forgiveness (1999).
God Has a Dream: A Vision of Hope for Our Time (2004).

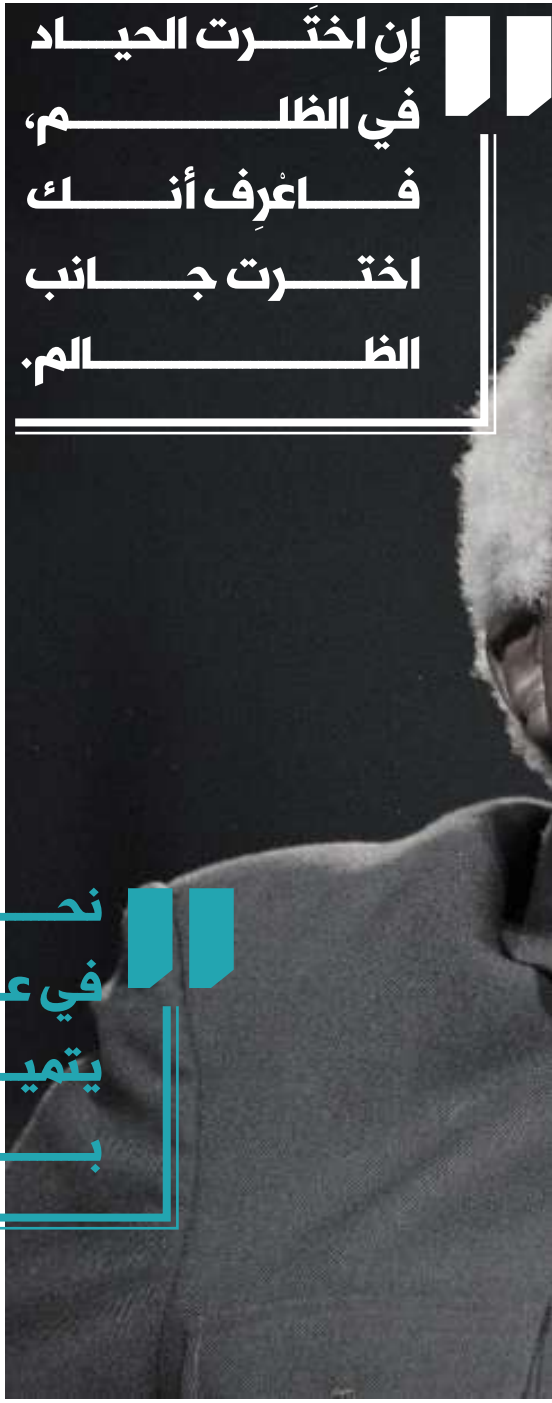

إنِ اختَرت الحياد في الظلم، فاعْرِف أنك اخترت جانب الظالم.

نحن نعيش في عالم يتميز بالتنوع.

إنْ كـــان المـــرء
يَحلـــم بمفـــرده،
فـــإنَّ حُلمـــه
سيظـــل
دائمًـــا حُلمًـــا.
ولكـــن،
عندمـــا يَحلـــم
الكثيـــرون بالشـــيء
نفســـه،
فـــإنَّ ذلـــك
الحُلـــم سيصبـــح
قريبًـــا حقيقـــةً.

دوم هلـــدر كامـــارا

أُسْقُفُّ الفقراء ورائد لاهوت التحرير المسيحي
(١٩٠٩-١٩٩٩)

سيرتـــــــــــــــه

وُلد دوم هلدر بيسوا كامارا (Dom Hélder Pessoa Câmara)، في ٧ شباط/فبراير ١٩٠٩، في مدينة فورتاليزا سيارا شمالي شرق البرازيل، وهي منطقة فقيرة في البلاد. كان أبوه يعمل مُحاسبًا، وأمُّه معلمة في مدرسة ابتدائية. تلقَّى تعليمه في مدرسة كاثوليكية في بلدته، والتَحَق سنة ١٩٢٣ بالسيمينير، وهي مدرسة لِتَكوين الكهنة. رُسِم كاهنًا[١] سنة ١٩٣١ برخصة خاصة من الفاتيكان، بسبب صِغَر سنه آنذاك. أصبح نائبًا أُسْقُفِّيًّا[٢] في مدينة ريو دي جانيرو سنة ١٩٥٢. في سنوات كهَنُوته[٣] الأولى كان مسانِدًا لمنظمة يمينية متطرفة تسمى "إنتغراليزمو" أي الأصولية، لكنه تخلَّى لاحقًا عن هذا الخيار الأيديولوجي، بل إنه اندفع في الاتجاه المعاكس وأسَّس منظمَّتَين اجتماعيَّتَين هما: "رابطة سيارا للعمل" سنة ١٩٣١، و"الاتحاد الكاثوليكي للمرأة العاملة" سنة ١٩٣٣. ثم عُيِّن سنة ١٩٥٩ كبير أساقفة أولیندا ورسيف.

أُطلق عليه لقب "أُسْقُفّ الأحياءِ الفقيرة"؛

١- رُسم كاهنا/ ارتسم كاهنا: رُقِّيَ إلى درجة الكهنوت بحسب التقليد الكنسي، بواسطة مَسحة الرّوح القدس في رتبة وضع يد الأُسْقُف على رأس المرسوم، لكي يصبح مُدَوَّلاً وقادرًا على العمل باسم المسيح. وهو مُكرّس بصِفَته مُعاوِنًا للأُسْقُف، على التّبشير بالإنجيل، والاحتفال بالعبادة الإلهيّة، وعلى رعاية المؤمنين.

٢- الأُسْقُف: هو رأس الكنيسة المحلّيّة، ومسؤول عن عدد من الكنائس التابعة للمنطقة الجغرافية التابعة له. أمّا الكلمة، فهي يونانية الأصل، وتعني «المُراقِب». والأُسْقُفِيّة هي أعلى الرُّتَب الكهنوتية.

٣- كلمة كاهن تُطلَق على رجل الدين، المسؤول عن خدمة الناس في المسيحية. والدعوة الكهنوتيّة هي دعوة إلهية لتكريس حياة المرء لله عبر السعي إلى توفير الرعاية لشعب الكنيسة وترأس مراسيم الصلاة، وغيرها من المراسيم الدينية.

> مِن دون العدالة والمحبة، سيكون السلام دائمًا وهْمًا كبيرًا.

بسبب دفاعه عن المهمَّشين الذين كانوا يعيشون في أحياء القصدير على أطراف المدن. وقد عمِل مع كهنة آخرين على تشجيع الفلاحين على تحرير أنفسهم من الجهل ومن الاستسلام لأوضاعهم الصعبة، عن طريق دراسة الإنجيل في مجموعات صغيرة، بحثًا عن معنى جديد للحياة، وعن التغيير الاجتماعي من خلال قراءاتهم. أيضًا ساهم بقوة في تشكيل مجلس أساقفة البرازيل سنة ١٩٥٢، حيث شغل منصب أوّل أمين عامّ له حتى سنة ١٩٦٤. وفي سنة ١٩٥٩ ، أسَّس في ريو دي جانيرو "بنك العناية الإلهية"، وهو منظمة خيرية لمحاربة الفقر والظلم الاجتماعي، بواسطة توفير قروض ميسَّرة لمحدودي الدخل.

شارك دوم هلدر كامارا في جميع جلسات المَجْمع الفاتيكاني الثاني[٤]، وكان له دور هامٌّ في تحرير وثيقة الدستور الرَّاعَوِيّ "الكنيسة في عالم اليومفرح ورجاء" Gaudium et spes. في نهاية المَجمع وتحديدًا في ١٦ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٦٥، اجتمع ليلاً أربعون أُسْقُفًا برئاسة دوم هلدر كامارا، في مقبرة دوميتيللا خارج مدينة روما، وهي مقبرة رومانية قديمة تحت الأرض، والمكان

٤- المجامع المسكونية الكنسية هي أعلى سُلطة تعليمية للكنيسة، يجتمع فيها الأساقفة والكرادلة من مختلف أنحاء العالم، ولذلك تسمى «مسكونية» أي عالميّة. آخر هذه المجامع بالنسبة إلى الكنيسة الكاثوليكية هو المجمع الفاتيكاني الثاني، الذي انعقد بدعوة من البابا يوحنا الثالث والعشرين في حاضرة الفاتيكان في روما (إيطاليا)، في السنوات ١٩٦٢-١٩٦٥، واختتمه البابا بولس السادس. واعتُبر المجمعُ بدايةَ المصالحة والحوار مع العالم الحديث، إذ صدرَت عنه قرارات هامة، من بينها وثيقة «نوسترا أيتاتي»، أيّ عصرنا، والتي تتناول بإيجابية العلاقات الإسلامية المسيحية، وعلاقة المسيحية بسائر الأديان.

يحمل رمزية خاصة، لأن تلك المقابر كانت مكانًا لاجتماع المسيحيين، إبَّان الاضطهاد الروماني في بدايات الديانة المسيحية.

فوقَّعوا هناك على وثيقة سمِّيت بـ"ميثاق المقابر"، تحتوي على ١٣ بندًا، يَدعُون فيها الأساقفةَ إلى عيش التقشف والبساطة الإنجيلية، من دون ألقاب تشريفية ولا امتيازات. وأيضًا يَدعُون إلى الانفتاح على الجميع بغضِّ النظر عن المعتقَد.
لقد أصبحت الكنيسة الكاثوليكية في البرازيل، بقيادة كبير الأساقفة دوم هلدر كامارا، صوتًا ناقدًا ضد الديكتاتورية العسكرية الحاكمة في السنوات ١٩٦٤-١٩٨٥، حيث انتَقدَت نظام العنف واضطهاده لمعارضيه، وما انجرَّ عن ذلك من ظلم وفقر وتهميش. وقد أجَّج ذلك حلفاءُ النظام من المحافظين الدينيين، الذين حرَّضوا على اعتقاله بسبب دعمه للإصلاح الزراعي. وقد أدَّت هذه الأجواء المشحونة إلى اغتيال بعض الكهنة المقرَّبين من دوم هلدر كامارا.

رُشِّح اسم دوم هلدر كامارا لنيل جائزة نوبل للسلام سنة ١٩٧٣، ولكنه لم ينَلْها لاعتراض بعض أعضاء لجنة الجائزة. وفي ٢٧ آب/أغسطس ١٩٩٩، توفي دوم هلدر كامارا عن عمر يناهز التسعين، في مدينة رسيف البرازيلية. وفي سنة ٢٠١٥ بدأ مَسار تطويبه، وهي المرحلة التي تسبق إعلان القداسة في الكنيسة الكاثوليكية. وذلك بطلب من خلَفِه كبير أساقفة أولِيندا ورسيف.

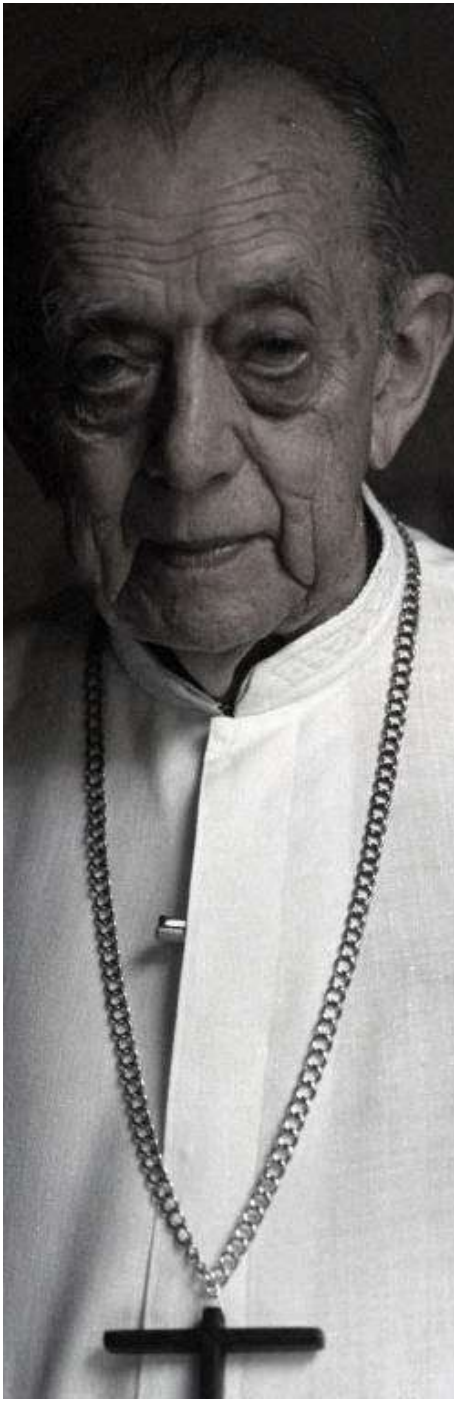

https://fotografia.folha.uol.com.br

إن الإمبراطوريات الرأسمالية،
مع ادِّعائها التضحيةَ
من أجل العالَم الحُرّ،
وحمايةَ الملكية الخاصة،
والدفاع عن النظام
ضد التخريب والفوضى،
فإنها في الواقع تُدافع
عن مكانتها السياسية
ومصالحها الاقتصادية
الناجمة عنها.
إنها بالفعل في خدمة
القوة الاقتصادية
والصناديق الدولية.
الإمبراطوريات الاشتراكية
من جانبها قاسية وعنيدة،
إذ إنها لا تسمح بالتعددية،
وتَفرض المادية الديالكتيكية،
وتُطالب بالطاعة العمياء للحزب،
وتُقِيم نظامًا من عدم الأمن
والخوف الكلي والدائم،
تمامًا مثل الديكتاتوريات
الفاشِيَّة لليمين المتطرف.

"عندما أُساعد الفقراء يعتبرونني قِدِّيسًا، وعندما أَسأَلُ عن سبب فقرهم، يعتبرونني شُيوعيًّا."

https://fotografia.folha.uol.com.br

يُعَدُّ دوم هلدر كامارا من أبرز وجوه "لاهوت التحرير"، وهو تيار لاهوتي[٥] حديث ظهر في أميركا اللاتينية في القرن العشرين، ثم انتشر في مختلف أنحاء العالم، بل إنه يُعَدُّ عابرًا للأديان والثقافات، خاصة في إفريقيا وآسيا، بين الشعوب التي عانت الاستعمارَ والهيمنة الإمبريالية. ومن المفكرين المسلمين الذين تأثروا بلاهوت التحرير، أصغر علي إنجنير في الهند، وفريد إسحاق في جنوب إفريقيا. أيضًا كان دوم هلدر كامارا أحد منظِّمي مؤتمر أساقفة أميركا اللاتينية، ويُعتبر تاريخ انعقاد المؤتمر الثاني من هذا النوع في مدينة ميديلين الكولومبية عام ١٩٦٨، تاريخَ ولادة لحركة لاهوت التحرير.

يُعطِي هذا التيارُ اللاهوتيُّ العدالةَ الاجتماعية والتضامنَ مع الفقراء والمهمَّشين الأولَوِيّةَ، إذ لا يَفصل بين الفكر والعمل. لذلك، فإن الكثير من أتْباع هذا التيار ناشطون اجتماعيًّا وسياسيًّا، ولديهم مواقف نقدية معلَنة من الأوضاع التي يعيشونها؛ إذ لا مجال للعزلة والحياد. أيضًا يمتلك هذا التيار رؤيةً نقدية لعلم اللاهوت التقليدي، الذي كثيرًا ما يتَّسم بالنُّخبَوية والمحافَظة، بل ويقع أحيانًا في تبرير تَجاوُزات السلطة أو يَغْفُلها تمامًا،

> في البلدان المتقدمة
> في العالم الرأسمالي،
> بدأتْ وسائل الإعلام
> تتحوّل إلى تجارة،
> بل إلى تجارة ضخمة.
> فأصبحت حرية
> الصحافيِّين الآن
> في معظم الحالات،
> شيئًا نسبيًّا للغاية.
> فهي تنتهي حيث
> تبدأ مصالح التجارة...
> أمَّا في المناطق الاشتراكية،
> فيكفي أن نشير إلى أن
> وسائل الاتصال الاجتماعي
> من احتكار الحزب.

٥- اللاهوت: هو علم دراسة الإلهيات دراسة علمية منطقية. وقد اعتمد علماءُ اللاهوت المسيحيون على التحليل العقلاني، لشرح المسيحية بشكل أوضح. ينقسم علم اللاهوت إلى فروع كثيرة، كاللاهوت العقائدي، والأدبي، والتاريخي، والفلسفي، والطبيعي، وغيرها.

https://domtotal.com/noticia

في حين يُنتقد لاهوت التحرير من قِبل خصومه باعتباره تَسْيِيسًا للدين، أو فِكرًا متحالفًا مع قوى اليسار، ومُتَبَنِّيًا للمقولات الشيوعية بِلَبُوس مسيحي إنجيلي. كان دوم هلدر كامارا واعيًا بهذه الانتقادات. ولذا، قال قولته الشهيرة: ''عندما أُساعد الفقراء يعتبرونني قدّيسًا، وعندما أَسأَلُ عن سبب فقرهم، يعتبرونني شُيوعيًّا''. أمَّا فيما يتعلق بمسألة العنف، فقد عبَّر دوم هلدر كامارا في إحدى مقابلاته، عن مساندته لِخِيار اللاَّعنف، وعن عدم اعتباره العنف سبيلاً إلى تطبيق مبادئ الإنجيل، مع أنه يحترم خيار حَمْل السلاح لمناهضة الظلم والاستبداد، ولا يُدِينُه أخلاقيًّا. أيضًا يُعرّف ''الاشتراكية'' التي يُؤْمن بها، بأنها من نوع خاص. فهي تحترم الإنسان، وتَرجع بجذورها إلى الإنجيل، وهي رديفة للعدالة الاجتماعية. وبذلك، يتَّفق مع ماركس في تحليله ونقده للرأسمالية، ولكنه يختلف معه في النتائج والحلّ.

في أوْجِ التصعيد في الحرب الأميركية في فيتنام سنة ١٩٧١، ألّف دوم هلدر كامارا كُتَيِّبًا بعنوان ''دوّامة العنف''، ربط فيه بين الظلم البُنْيوي (المستوى الأول من العنف)، والتمرّد المتصاعد (المستوى الثاني)، وردّة الفعل القمعية (المستوى الثالث). في هذا الكتيِّب، دعا هلدر كامارا الشباب في العالم إلى اتخاذ خطوات فعّالة، من شأنها وقف دوامة العنف، والابتعاد عن سلوك الكُبَراء المُدمِنين على السلطة والتَّربُّح من الصراعات. فلا بد من امتلاك الجرأة على كسر حلقة العنف الجهنمية، التي تستهلك الجميع.

أعظمُ الصدقات اليوم، هي العمل من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية.

إذا بقي سلام في ركن من العالم، سلامٌ قائم على المَظالم، سلامُ مستنقَعٍ آسِن يتخمَّر الفساد في باطنه، فإننا على يقين من أنه سلامٌ كاذب. العنف يَجذب العنف. دعُونا نُكرّر بلا خوف ولا وجل: المَظالم تَجلب الثورة، إمَّا مِن قِبل المظلومين أو مِن قِبل الشباب العازمين على النضال من أجل عالَم أكثر عدالة وإنسانية.

تُقدِّم سورة الماعون تصوُّرًا مثيرًا للاهتمام عن الدين، عن طريق تعريف الرافض للدين بأنه الشخص: (الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ)، أي يعامله بقسوة، (وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ)، أي لا يشجّع على إطعام الفقراء. يتضح من خلال هذه السورة، أن الدين وإن كان يُعنَى كثيرًا بعبادة الله الواحد يُعنَى أيضًا بالربط بين تلك العبادة ومعاناة الآخرين.

فريد إسحاق

مُناضِل ضد العنصرية ورائد "لاهوت التحرير" الإسلامي

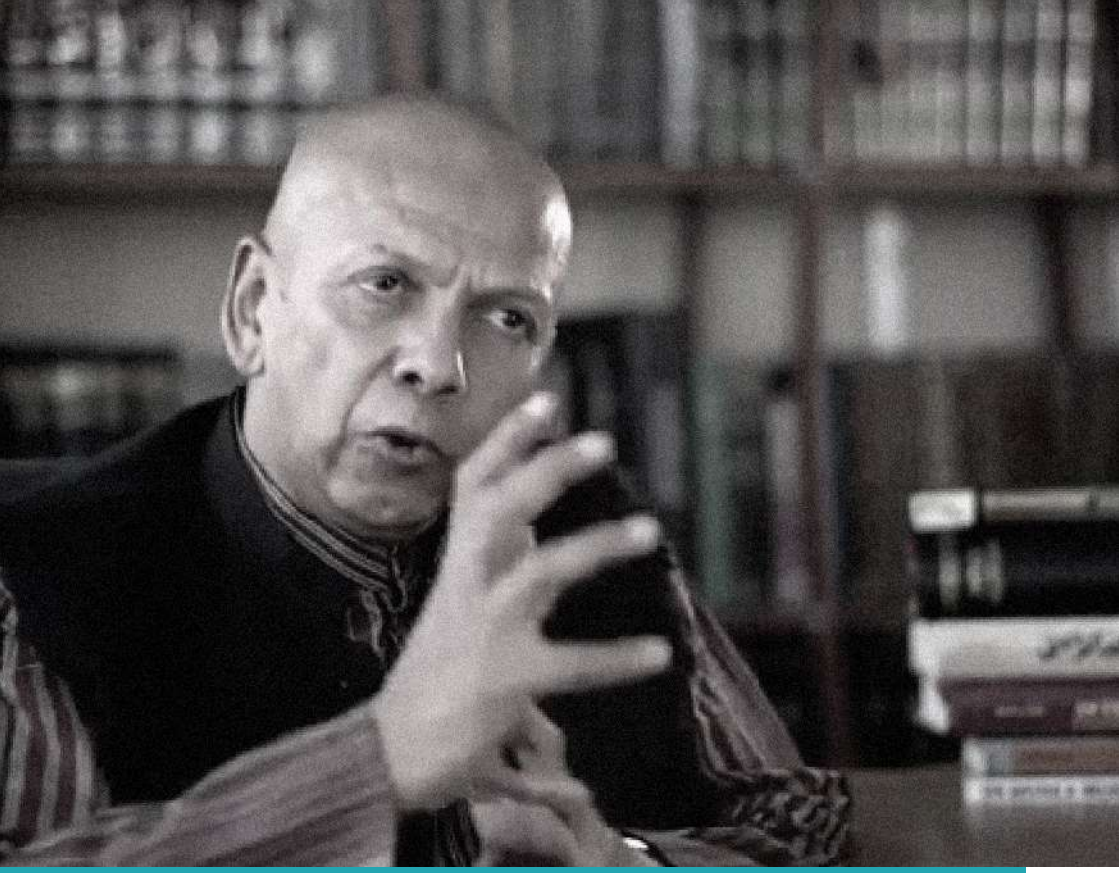

سيرتـــــــــــــه

وُلد فريد إسحاق (Farid Esack) سنة ١٩٥٦، في مدينة رأس الرجاء الصالح في جنوب إفريقيا، وتحديدًا في ضواحي واينبرغ الفقيرة، حيث عانى من نظام التفرقة العنصرية "أبرتهايد" منذ طفولته المبكرة. فبحكم القانون المتعلق بتوزيع السكان على مناطق مفروزة عِرقيًّا (The Group Areas Act)، الصادر سنة ١٩٦١، أُجبرَت العائلة المُكوَّنة من الطفل إسحاق وأمه وإخوته الخمسة -والتي هجَر فيها الأب البيت منذ كان عمر إسحاق ثلاثة أسابيع فقط-، على ترك بيتها الكائن في منطقة صُنِّفت بـ"البيضاء"، لتنتقل إلى الأحياء الفقيرة المخصصة لـ"الملوَّنين" في منطقة كيب فلاتس. هنالك، نشأ إسحاق حيث عاش الفقرَ المُدْقع، وكان يذهب إلى المدرسة حافي القدمَين. هذه التجربة القاسية دفعَته -منذ سِنِيِّ الطفولة والمراهقة- إلى الالتحاق بحركاتٍ مكافِحة لنظام التمييز العنصري، حيث كان أول اعتقال له من قِبل الشرطة في سن التاسعة من عمره. وفي سن العاشرة، انضم إلى "جماعة الدعوة والتبليغ"، وهي جماعة دينية نشأت في الهند، تُعنَى بدعوة المسلمين إلى ممارسة الشعائر الدينية، والابتعاد عن الرذائل. هذا الانتماء المزدوج للدين وللسياسة، وسَمَ -منذ

> الحقيقة ليست مطلقة ولا خارج الزمان، بل هي مُوحَاةٌ باستمرار لِلَّذِين يتحمّلونها، بتفكير نقديّ قائم على الجهاد.

الطفولة- شخصية فريد إسحاق، التي حمَلَت دومًا الْهَمَّيْن: الوطني والديني.

في سن السابعة عشرة، نال إسحاق مِنحة لدراسة العلوم الإسلامية، في إحدى المدارس الإسلامية التقليدية في مدينة كراتشي الباكستانية، حيث قضى هناك ثماني سنوات. فكان له اهتمام خاص بعلوم القرآن والتفسير، ليتخرج في "الدرس النظامي"، وينال لقب "مولانا" الخاص برجال الدين في تلك الأوساط. بعضٌ من طَلَبة هذه المدرسة، التحقوا فيما بعد بجماعة "طالبان" للقتال في أفغانستان. فكانت معرفة فريد إسحاق مِن كَثَب لهذه الأوساط المحافِظة جدًّا -والمتطرفة أحيانًا-، هي التي جعلت الحكومة الباكستانية تطلب وساطته أثناء حصار "لال مسجد" سنة ٢٠٠٧، وهي وساطة باءت بالفشل، ما أدى في نهاية المطاف إلى مقتل العشرات نتيجة الاشتباكات مع الجيش.

على إثر عودته إلى جنوب إفريقيا، التحق فريد إسحاق بـ"حركة الشباب المسلم في جنوب إفريقيا" سنة ١٩٨٢، ثم أسَّس مع مجموعة من رفاقه سنة ١٩٨٤ "دعوة الإسلام" (The Call of Islam) وهي جمعية إسلامية مناهضة للأبرتهايد. أصبحت "دعوة الإسلام" لاحقًا جزءًا من "الجبهة الديمقراطية المتحدة"، التي تأسست قبل ذلك بسنة، وكانت تمثل تحالفًا لعدد من

https://artikula.id/andyrosyidin

المنظمات الشعبية التي ظهرت كردّ فِعل على اقتراح الحزب الوطني الحاكم بتقسيم البرلمان إلى ثلاث غرف على أساس اللون، من أجل استقطاب الملَوَّنين من غير السود، الذين هم أساسًا من أصول هنديّة، عبْر إعطائهم بعض الامتيازات السياسية على حساب الأغلبية السوداء. وقد كان فريد إسحاق من القيادات الإسلامية المناهضة للأبرتهايد، بالتعاون مع العديد من المعارضين من مختلف الأديان والاتجاهات. أيضًا كان إسحاق من القيادات الفاعلة في منظمة "المؤتمر العالمي للأديان من أجل السلام".

بعد سقوط نظام التمييز العنصري، سافر فريد إسحاق سنة ١٩٩٠ إلى ألمانيا لدراسة هيرمينوطيقا[1] الكتاب المقدس، ثم ارتحل إلى المملكة المتحدة، حيث حصل على شهادة الدكتوراه في هيرمينوطيقا القرآن الكريم في جامعة بيرمنغهام. وهكذا، يكون إسحاق قد جمع في تكوينه بين الجانب التقليدي والجانب الحديث، وبين دراسة التراث اليهودي المسيحي من ناحية، ودراسة التراث الإسلامي من ناحية ثانية. عمل أستاذًا في العديد من الجامعات في العالم، من بينها: سيمينير الاتحاد اللاهوتي في نيويورك، وجامعة هارفرد، وغيرهما.

عاد فريد إسحاق إلى جنوب إفريقيا سنة ٢٠٠٩، ليعمل أستاذًا في الدراسات الإسلامية في جامعة جوهانسبورغ. ومن بين الجمعيات التي نَشِط فيها، جمعية "مسلمون إيجابيون"، التي تعمل على مساعدة المسلمين الحاملين لفيروس نقص المناعة المكتسَبة؛ ما يعبِّر عن

١- الهيرمينوطيقا: هي علم تفسير النصوص، القديمة منها خاصة، نظرًا إلى وجود هوَّة تاريخية فاصلة، بين القارئ المعاصر والنص القديم.

اهتمامه بقضايا المهمَّشين والمضطهَدين، ليس بسبب اللون والطبقة فقط، ولكن بسبب المرض والأحكام المسبقة أيضًا.

جدير بالتنويه، أن فريد إسحاق قد عمل مفوَّضًا من قِبل الرئيس نيلسون مانديلا (تُوفِّي سنة ١٩٩٩)، لقضايا المساواة بين الجنسين. أيضًا عُرف بمناصرته للقضية الفلسطينية، وبتأييده الناشط للحركة العالمية لِمُقاطَعة البضائع الإسرائيلية BDS.

> العنصرية تَحطُّ من إنسانية الإنسان، وكذلك يفعل الفقر والتمييز الجنسي. وأنْ تُؤْمن بكرامة الناس، يعني أن تكُون جزءًا من النضال من أجل القضاء على هذه الآفات. لا يمكنك أن «تثق» بجماعتك الخاصة فقط وأن تعتقد أن الآخرين جميعًا ليسوا جيِّدِين، ولا أن «تثق» بجنسك فقط وتعتقد أن الجنس الآخر أقلّ شأنًا منك. هذه ليست ثقة، ولكنها الغطرسة المترسِّخة في انعدام الأمن. إنَّ إصابة شريحة واحدة من الإنسانية، هي إصابة للجميع.

كم عدد أولئك الذين يُصرُّون على أن طريقهم هو طريق الإصلاح الروحي، وأن لا علاقة لهم بالسياسة، ولكنهم يدعمون الأبرتهايد (نظام الفصل العنصري) سرًا، وأحيانًا علنًا؟ الروحانية بدون سياسة حسب ازدياد فهمي لها يومًا بعد يوم، هي أبعَدُ ما تكُون عن الحياد، بل على العكس من ذلك هي تَدعم دائمًا الأنظمة الاجتماعية الاقتصادية القمعية.

https://en.qantara.de

يُعتبر فريد إسحاق من أبرز المفكرين المسلمين المعاصرين، الذين تأثروا بلاهوت التحرير. وهو تيار لاهوتي مسيحي كاثوليكي، ظهر في أميركا اللاتينية، ثم انتشر في العالم عابِرًا مختلف المذاهب والأديان. وهو فكر يعطي المستضعَفين والمهمَّشين الأولويّةَ، وينتقد الفكر الديني الذي يتحالف مع السلطة ليبرِّر جبروتها وظلمها، أو الذي يشجع المؤمنين على الاستسلام وعدم مقاومة الظلم. في السياق التاريخي لإفريقيا الجنوبية، يتمثل هذا الظلم الاستبدادي بنظام التمييز العنصري «الأبرتهايد»، وبكل مخلَّفات الاستعمار والهيمنة.

ومِن الوجوه الهامة لهذا التيار في جنوب إفريقيا، المطران الأنغليكاني ديسموند توتو Desmond Tutu.

من المفكرين المسلمين الذين تأثر بهم إسحاق، المفكر الباكستاني فضل الرحمن (تُوفِّي سنة ١٩٨٨)، لكنهما لم يلتقيا مباشرة، وإنما كُتُب فضل الرحمن كان لها كبير الأثر في توجيه فكر إسحاق، خاصة ما تعلق منها بالجانب النقدي التاريخي، واعتبار سياقات الفهم والتفسير القرآني.

لعل من أهم كتب فريد إسحاق، التي نجد

> لقد علّمَنا الكفاح ضد الأبرتهايد، أن إنسانية الناس تَكتسب معناها عندما يعي الناس خاصة المهمَّشين منهم قوّتهم، من ناحية، وعندما يُدرك الأقوياءُ ومنهم المتدينون ضُعفَهم، من ناحية ثانية. والسؤال المثير للاهتمام والمرتبط بذلك، هو هل يؤدّي تَفكُّك السلطة الدينية الذكورية إلى تَفكُّك السلطة الدينية كَكُلٍّ، أم لا؟ هذا أمر محتمل! لكن، مهْما حَلّ محلّها، فلن يصل إلى مستوى الظلم الذي مُورِس بانتظام بِاسم السلطة الدينية.

فيها تطبيقًا للمناهج والمقاربات الجديدة في دراسة القرآن الكريم، كتابه "القرآن والتحرير والتعددية، نظرة إسلامية إلى التضامن بين الأديان ضد الاضطهاد":
Farid Esack, Qur'an Liberation & Pluralism: An Islamic Perspective of Interreligious Solidarity Against Oppression, Oneworld Publications, Oxford, 1997.

وهو كتاب يجمع بين الخبرة العملية والاجتهاد النظري، إذ يرى المؤلفُ فيه أن الوعي بالمسار الشخصي، يجعل القارئ شريكًا في تتبُّع خطوات تُشكّل الأفكار وسياقات تَولُّدها.

من الإسهامات الهامة لفريد إسحاق في الفكر الإسلامي المعاصر، جهوده في بَلورة رؤية إسلامية تعددية، تنظر بإيجابية إلى الآخر المختلف، ما يقتضي نقد النظريات الإقصائية، وبيان تَهافُتها قرآنيًّا وواقعيًّا. أيضًا يتطلب قبولُ التعددية الدينية إعادةَ النظر في مفهوم "الكفر"، باعتباره سلوكًا رافضًا لنعم الله، ومتواطئًا مع الظلم والظالمين، وليس مجرد انحراف في العقيدة.

يؤكّد فريد إسحاق على ضرورة التضامن بين مختلف الأديان، من أجل خدمة الإنسان والقيم المشتركة، والجهاد المشترك ضد الظلم والاستبداد وأصناف الاستغلال. ولا شك أن تجربة إسحاق في مجال الحوار بين الأديان كانت جِدَّ مُفيدةٍ في هذا المجال. فالممارسة التحريرية أو أخلاق التحرر، تَحظى بالأولية لديه بوصفها معايير إنسانية جامعة.

التعدديـــــــة باعتبارهـــــا
ترَفًـــــــا فكريًّـــــــا،
لا تُمثِّـــــــل خيـــــارًا
بالنسبـــــة إلى أولئـــــك
الذيـــــن يكـــــافحون
على هـــــــامش
المجتمـــع من أجـــل البقـــاء،
أو الذيـــــن يعيشـــــون
تحـــــت نِيـــــر القمـــــع
وينـــــاضلون مـــــع
المنتميـــن إلى أديـــان أخـــرى،
أو مـــــع المضطهَديـــــن
مثلهـــــم من أجـــــل
التحريـــر [فـــإنهم يعيشـــون
التعدّديـــــة بوصْفِهـــــا
واقعًـــــا مرتبطًـــــا
بقضايـــــا مصيريـــــة].
يجـــــب أن نســـــأل عن
القضايـــــا التي يقتضيهـــــا
التزامُنـــــا التعدديَّـــــةَ.
فمِـــــن أجـــــل أنْ يكُـــــون
التدبُّـر وإعادة التدبُّـر ذَوَيْ معنًى،
ومرتبطَيـــن بأخـــلاق الإســـلام،
لا بـــــد أن يتدفّقـــــا
ويؤدِّيـــــا إلى الالتـــــزام
[لِلقضايـــــا العادلـــــة].

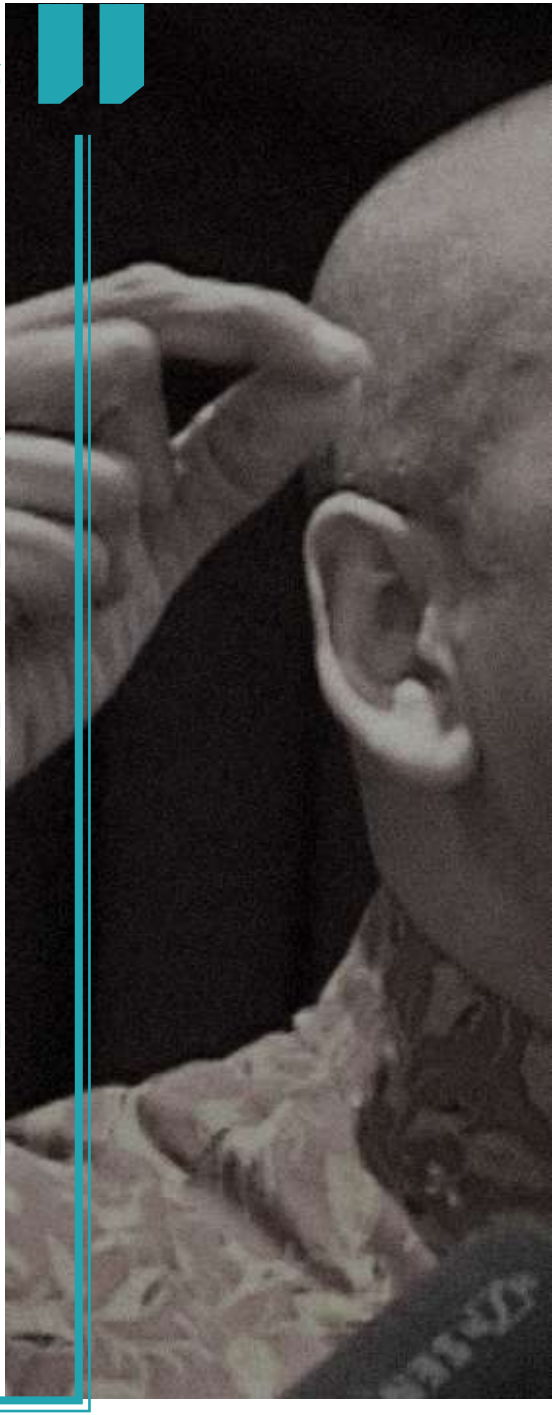

"بينما كان الناس
يموتون جوعًا
في الشوارع...
كنتُ أَدرُس نظريات
اقتصادية رائعة...
كنَّا جميعًا كأساتذة
بالجامعة أذكياء للغاية،
ولكننا لم نكن نعرف
شيئًا على الإطلاق
بشأن الفقر
المحيط بنا."

محمد يونس

المُناضِل في سبيل العدالة الاجتماعية وإعادة تمكين الفقراء

سيرتـــــــــــــــه

وُلد محمد يونس عام ١٩٤٠ في مدينة شيتاغونغ، في البنغال الشرقي في شمال شرق الهند (بنغلادش) ونشأ على القيم والمبادئ المسلمة. وفي عام ١٩٥٧ الْتَحق بقسم الاقتصاد في جامعة دكا، وأكمَل درجة البكالوريوس عام ١٩٦٠، والماجستير عام ١٩٦١. وفي عام ١٩٦١، عُيِّنَ مُحاضِرًا في الاقتصاد في كلية شيتاغونغ.

في عام ١٩٦٥ حصل على منحة للدراسة في الولايات المتحدة، وفي عام ١٩٧١ حاز درجة الدكتوراة في الاقتصاد من جامعة فاندربيلت لبرنامج الدراسات العليا في التنمية الاقتصادية. وبين عامَي ١٩٦٩ و١٩٧٢، عمل أستاذًا مساعدًا في الاقتصاد، في جامعة ولاية تينيسي الوسطى في مورفريسبورو. عاد إلى بنغلاديش في عام ١٩٧٢ ليصبح رئيسًا لقسم الاقتصاد في جامعة شيتاغونغ.

حصل على جائزة نوبل للسلام سنة ٢٠٠٦، مناصَفةً مع بنك غرامين، تقديرًا لِمَا بذَلاَهُ من جهود في التنمية الاقتصادية والاجتماعية. وجاء في كلمة لجنة جائزة نوبل أثناء تكريمه:

> أنـــــــــا لا
> أُعـــادي أحـــدًا،
> ولكنـــي أمُـــدُّ
> يـــدي لكـــل
> من يريـــد
> خيـــرًا بـــالبشر.

”وقد أظهر محمد يونس نفسَه، ليكُون الزعيم الذي نجح في ترجمة الرؤى إلى إجراءات عملية لصالح الملايين من الناس، وليس في بنغلاديش فقط، ولكن أيضًا في العديد من البلدان الأخرى. قد تكُون القروض للفقراء دون أي ضمان ماليّ، تبدو فكرة مستحيلة. لكن، منذ بدايات متواضعة قبل ثلاثة عقود، ومن خلال بنك غرامين قبل كل شيء، جعَل محمد يونس من القروض الصغيرة أداةً أكثر أهمية من أي وقت مضى، في الكفاح ضد الفقر.»
إلى جانب جائزة نوبل للسلام، نال وسام الحرية الرئاسي، والميدالية الذهبية للكونغرس. وفي عام ١٩٨٤ نال جائزة ماجسايساي رامون، وجائزة الغذاء العالمية، وجائزة سيمون بوليفار الدولية في سنة ١٩٩٦، وجائزة أمير أستورياس للوفاق، وجائزة سيدني للسلام في عام ١٩٩٨، وجائزة سيول للسلام في عام ٢٠٠٦، و١١٣ جائزة عالمية من ٢٦ دولة مختلفة.

أَعلن محمد يونس أنه سيستخدم جزءًا من نصيبه من جائزة نوبل (١,٤٠٠,٠٠٠ دولار) لإنشاء شركة، تُقدِّم تكْلِفة منخفضة للمواد الغذائية للفقراء، في حين أن بقية الجائزة ستُخصَّص لإقامة مستشفى العيون للفقراء في بنغلاديش.

حول البداية ولحظة الإلهام، يقول يونس: ”بينما كان الناس يموتون جوعًا في

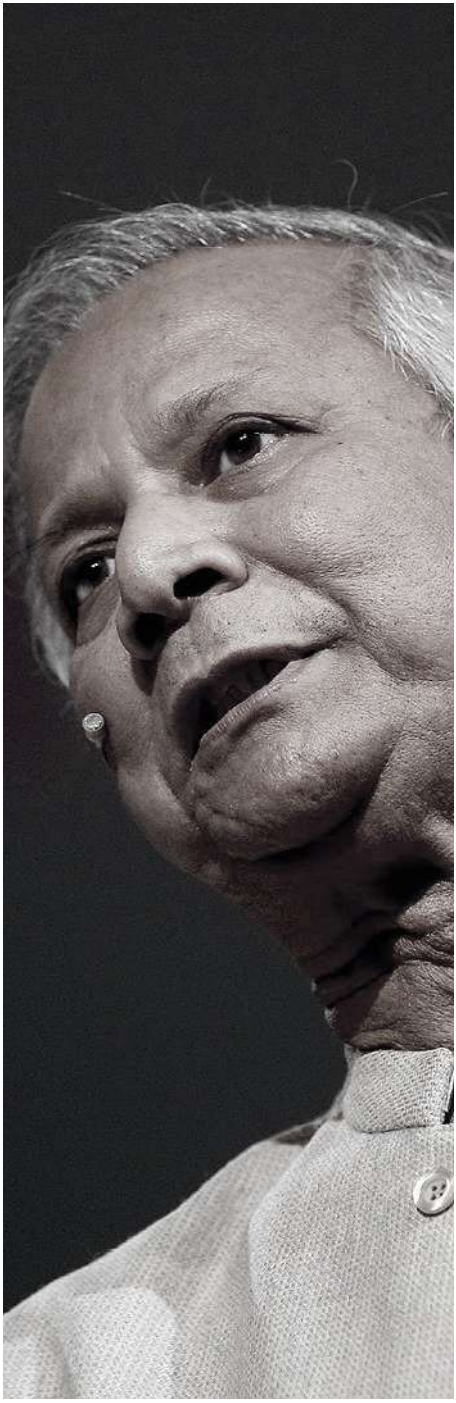

الشوارع... كنتُ أَدرُس نظريات اقتصادية رائعة... كنَّا جميعًا كأساتذة بالجامعة أذكياء للغاية، ولكننا لم نكن نعرف شيئًا على الإطلاق بشأن الفقر المحيط بنا''. ويَذكُر يونس أنه في عام ١٩٧٦، وأثناء زياراته لَأِكثرِ الُأسَر فقرًا في قرية غوبرا قرب جامعة شيتاغونغ، وجَد مجموعة من النساء الفقيرات يصنَعن أثاثًا من الخيزران، ومِن ضمْنهم امرأة اسمها صوفيا بيغوم. كانت تجلس على قارعة الطريق، وتقوم بتصنيع كراسِيَّ خشبيَّة بسيطة، باستخدام أعواد البامبو المنتشرة بكثافة في البلاد. وعندما سألها عما تفعله، أخبرَته أن عمرها ٢١ عامًا، وهي أم لثلاثة أطفال، وأنها قامت باقتراض خمس تاكات (الدولار يعادل نحو ٨٤ تاكا) من أحد التجار، الذين يحدِّدون السعر الذي يباع به الكرسي. وقد اشترط عليها أن تُسدِّد القرض أوَّلاً بفوائده، ما يجعلها تجني أرباحًا لا تزيد عن سِنْتين أميركيَّين فقط!

قرَّر يونس أن يصطحب مجموعة من طلاَّبه، لإجراء استقصاء في تلك القرية ''غوبرا''، والبدء بجمع بعض البيانات عن أهالي تلك القرية، وعن أنشطتهم ومحاولاتهم للتغلب على فقرهم. ومن النتائج التي خرجوا بها، أنَّ ٤٢ شخصًا في هذه القرية يعملون في مشروعات شديدة البساطة والصِّغَر، ويَجنون هامشًا ربحيًّا شديد التدنِّي، يجعلهم مَدِينِين للتجار الذين يقتطعون القدر الأكبر من الأرباح، التي يجنونها في تجارتهم البسيطة. وتَبلغ الديون التي يحملونها على عاتقهم، والتي تؤدي بهم إلى نوع من العبودية، وربما إلى سجنهم إنْ عجِزوا عن تسديدها: ٨٥٦ تاكا، أي ما يساوي ٢٧ دولارًا فقط. فقام يونس

بإقراض الأهالي العاملين هذا المبلغ، وأمْهَلهُم في سداده إلى حين استطاعتهم، دون غرامات أو تهديدات قانونية. وأيضًا أذِنَ لهم باستخدام المبلغ في المتاجرة وشراء بعض المواد الأولية. بعد مدة، اجتمع القرويون وأعادوا المبلغ. فكانت هذه التجربة الناجحة، الشرارةَ الأولى التي جعلته يفكر في تعميم التجربة.

> أدعو القائمين
> على أي نشاط
> اقتصادي إلى
> أن يتسلَّحوا
> بالرحمة،
> حتى يرحمهم
> الله،
> وإلى أن يَتركوا
> بصمات وبسمات
> في حياتهم
> وبعد مماتهم.

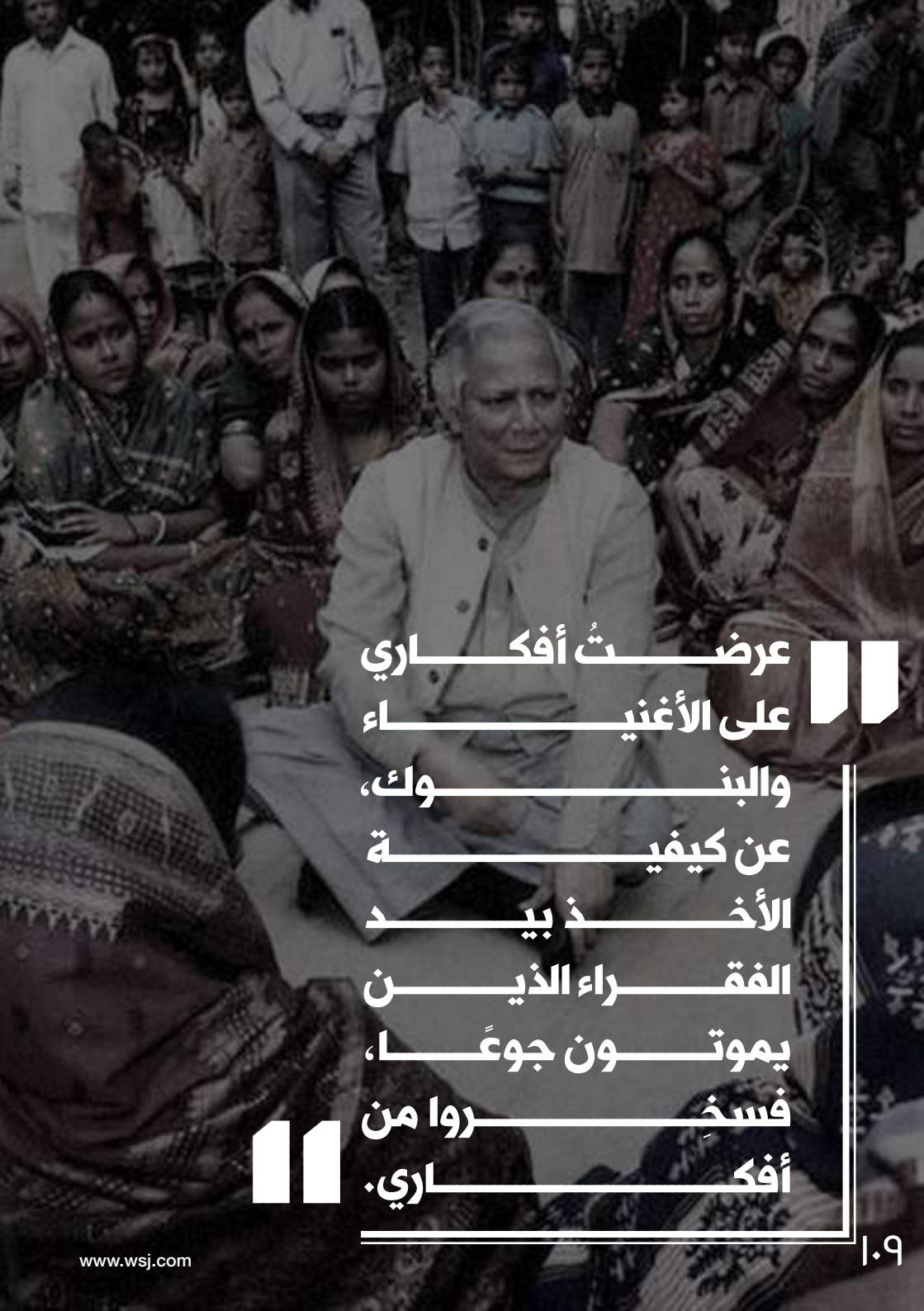

عرضتُ أفكاري على الأغنياء والبنوك، عن كيفية الأخذ بيد الفقراء الذين يموتون جوعًا، فسخِروا من أفكاري.

فِكـــــــــــــــــــــــــــــــرة

في عام ١٩٧٦، وبعد دراسة مكثَّفة للمشـروع، توَجَّه محمد يونس إلى الفرع المحلِّي لبنك جاناتا (أحد البنوك الحكومية البنغالية)، عارِضًا عليهم بالتفصيل فكـرة مشـروع للقروض المتناهية الصغر، الموجَّهة إلى الفقراء بدون فوائد أو التزامات مشدَّدة، والتي -إنْ طُبِّقَت وَفْقًا لخطته- سوف تساهم في إحداث طفرة كبرى للطبقة الفقيرة، وتَحلُّ الكثير من المشاكل المعقَّدة التي يمرُّ بها المجتمع البنغالي.

رُفِضت الفكـرة من البنك، بِحجَّة أنَّ الفقراء غالبًا أُمِّيُّون، ولن يتمكَّنوا من ملء الاستِمارات اللازمة للحصول على القروض، فضْلاً عن أنه لا يوجد أية ضمانات لإعادة هذه المبالغ. لذا، هو مشروع ذو مَخاطر مرتفعة. وبعد مفاوضات، عَرَض يونس على إدارة البنك إجراء مشروع تجريبي، يقوم هو شخصيًّا فيه بضمـان قروض هؤلاء الفقراء بمبلغ ٣٠٠ دولار، وبتقديم الأوراق اللازمة لكل قرض، مع ملء الاستِئْمارات نيابةً عنهم، لأن البنك لا يريد التعامل مع الفقراء مباشرة.

نجح المشـروع واستطـاع أن يحقق نموًّا ملحوظًا، عندما أقْدَم الفقراء على أخذ

> ليتنـــــــي أعيـــــــش حتى أُحقِّـــــــــــــــق حُلمـــــــــــــــــي، بوضـــــــع الفقـــــــر في مُتحَـــــــــــــف بعد القضـــــــــــــاء عليـــــــــــــــه، أو التقليـــــــــــــل من أعـــــــــــــداد مَن يعـــــــــــانون منـــــــــه في العـــــــــالم.

القروض، وإعادتها بعد ذلك بمعدَّل استرداد كبير جدًّا. وهو الأمر الذي شجَّع كلاً من يونس والبنك على أن يَعملا على تطوير المشروع، بتحويله إلى مصرف فرعي تابع للبنك، أُطلق عليه مصرف ''غرامين''، وهو ما يعني ''مصرف القرية''. وقد أُسند إلى محمد يونس تأسيسه وإدارته كُلِّيًّا.

ركَّز بنك القرية على مجموعة من المبادئ، أوَّلُها: أن الفقراء سوف يسدِّدون هذه القروض، لسبب بسيط يتلخَّص في أن القروض شروطها شديدة السهولة من ناحية، وأنها فُرصتهم الوحيدة للخروج من الفقر من ناحية أخرى. وأيضًا تخلُّفهم عن سداد القروض السهلة يعني فقدانهم فرصة النجاة من مستنقع الفقر، حيث سيجدون أنفسهم في قبضة التجار المُرابِين، الذين يشترطون فوائد عالية.

المبدأ الثاني، أن تحميل الفقير قدرًا كبيرًا من الديون، هو السبب الأساسي الذي يجعله عاجزًا عن سداد الدَّين. فقام المشروع بتوفير منهجية مَرِنَة تُريحهم نسبيًّا، وتُتيح لهم سداد القرض، حيث تستمر مدة السَّداد سنة كاملة، شَرْط أن يسدِّد المقترضون جزءًا ضئيلاً للغاية يوميًّا أو أسبوعيًّا.

من المبادئ الأخرى التي اتَّبعها المصرف، أنه قرَّر التركيز على النساء بإقراضهنّ المال بشكل حصريّ تقريبًا، مع مراعاة الاستثناءات من الرجال، وذلك بِناءً على دراسات موسَّعة أجراها يونس ميدانيًّا، أكدت أن النساء يشكِّلن نسبة الأغلبية من الفقراء والعاطلين والمحرومين،

رغم قلّة الأموال التي أُقدِّمها، فإنَّ إرادة التغيير للأفضل حوَّلَت الحُلم إلى حقيقة، وأصبحت السبعةُ والعشرون دولارًا الآن مليارات.

أُؤْمن بأن العمل الاجتماعي والاقتصادي الناجح وسيلة إلى التغيير، وليس إلى الدخول في معترَك الصراعات.

https://fr.wikipedia.org

فضلاً عن أن النساء عادةً ما يكُنَّ مُعيلات ومسؤولات عن تحسين مستوى حياة أُسَرهن، أكثر من الرجال.

اِستطاع يونس -وفْقًا لهذه المبادئ- أن يحقق نشاطًا ملحوظًا، حيث تمكَّن في نهاية عام ١٩٨١ من توفير قروض متناهية الصغر، بإجمالي ١٣,٤ مليون دولار، استفاد منها آلاف القرويين والأُسَر. وهو الأمر الذي شجع البنك على تطوير خطة للانتقال إلى المزيد من المقاطعات في بنغلاديش، بعد أن تلقَّى مساعدات مالية من مؤسسات عالمية، مثل: فورد، والصندوق الدولي للتنمية الزراعية.

في ١ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٣، قام يونس بإعادة هيكلة مصرف "غرامين"، وتحويله إلى مؤسسة مستقلة. وعلى مدار الثمانينيات والتسعينيات، حقَّق بنك غرامين نجاحًا كبيرًا، أدَّى إلى نشوء عدد كبير من المؤسسات الفرعية، التي تصبُّ جميعها في خدمة الفقراء، شاملةً خدمات الإقراض: للتعليم، ولبناء المنازل، وللكوارث الطبيعية، وللأسرة.

بِحلول تموز/يوليو ٢٠٠٧، أقرَض غرامين ٧,٤ ملايين مُقترِض، ما مجموعُه ٦,٣٨ مليارات دولار أميركي. وفي العام ٢٠١٧، بلغ عدد فروع بنك غرامين أكثر من ٢٦٠٠ فرع في مختلف المناطق البنغالية، وبلغ عدد المقترضين أكثر من تسعة ملايين مقترض، بمعدَّلات استرداد مرتفعة للغاية تتراوح ما بين ٩٧٪ و٩٩,٦٪. هذا النجاح عُدَّ نموذجًا مثاليًّا، من العديد من المشروعات التي تبنَّتها ٤٠ دولة حول العالم، متَّخِذة من بنك غرامين نموذجًا،

يُيَسِّر نظامُه الوصول إلى أكثر القرى فقرًا، وإلى دعمها بالقروض المتناهية الصِّغَر. أدرَك يونس خطورة حرمان الفقراءِ الاقتراضَ من البنوك التجارية، بِحجَّة عدم قدرتهم على السداد، معتبِرًا أن ذلك التوجه يجعل دائرَتَي الغنى والفقر في المجتمع دائرتَين مغلقتَين. ومن ثم، كان أهم إنجاز حقَّقه المصرف على الإطلاق، هو تمكُّنه من عمل نظام ناجح لتوفير الائتمانات للفقراء، دون الحاجة إلى وجود ضمان ماليّ من ودائع أو عقارات، يَعجز عنها الفقير بحُكم تعريفه.

أيضًا أدرَك يونس أن الفقراء -وليس الأغنياء- هم الأكثر احتياجًا إلى مساعدة البنوك، والحصول على الدعم والمساندة. فنجح في تحويل عمل البنوك، من مؤسسات ربحية مادية إلى مؤسسات إنسانية رحيمة، تُسهم في الْحدّ من الفقر والبطالة في المجتمع.

إضافة إلى كتبه التي تتناول رؤيته الاقتصادية والقيمية، أصدر عام ٢٠١٠ كتابًا بالشراكة مع أشفاق سيد بعنوان: رسالة الإسلام الجوهريّة.

بدأتُ أُنفِّذ أفكاري بنفسي، وكان كلُّ ما أملكه سبعةً وعشرين دولارًا فقط.

أيها البشتون،
انظروا إلى الدول المتقدّمة في العالم.
هل تعتقدون أن ازدهارها سقط من السماء؟
لا. ثم إنَّ ازدهارنا لن ينزل من السماء!
سِرُّ رخائهم هو أنَّ لديهم رجالًا ونساءً،
يضحُّون بتَرَفِهم ومُتعتهم وراحتهم
من أجل ازدهار الأمة.
ليس لدينا بشَرٌ من هذا القبيل.
نحن ننظر إلى مصلحتنا الذاتية فقط،
ونترك البلاد تذهب إلى الجحيم!
في بلدان أخرى،
تَعلَّم الناس أنه لا أحد بمنزلة جزيرة.
ولكن في بلدنا،
يعيش الجميع في عالم أحلامهم
الخاص مثل الحيوانات.
هل يمْكن أن نعتبر أنفسنا تاج الخليقة،
إنْ لم نفعل إلَّا هذا،
ولا شيء أكثر؟

خان عبد الغفار خان (باتشا خان)

(١٨٩٠-١٩٨٨)

المُناضل اللاعنفي والمُصْلح الاجتماعي

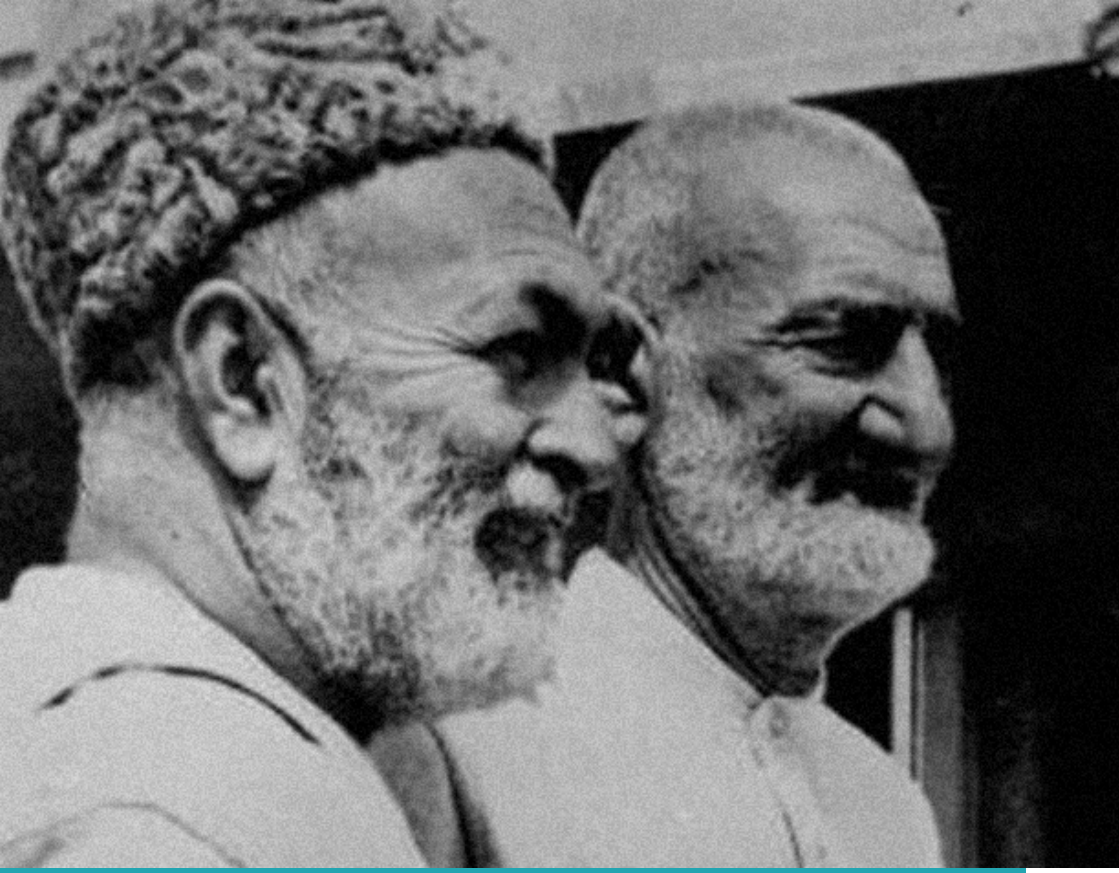

سيرتـــــــــــــــه

وُلد خان عبد الغفار خان سنة ١٨٩٠. وقد أمدّ الله في عمره ليعيش ٩٨ عامًا. تُوفِّي في ٢٠ كانون الثاني/يناير ١٩٨٨ في مدينة بيشاور الباكستانية، حيث كان تحت الإقامة الجبرية. دُفن حسب وصيته في مدينة جلال آباد الأفغانية، وشيَّع جنازته عشرات الآلاف من الناس، في مسيرة مَهيبة بين المدينتَين. وقد تعرَّض الموكب الجنائزي لاعتداء بالقنابل، نَجم عنه مقتل العديد من المشيِّعين؛ ما يعني أنَّ اسمه -حتى بعد وفاته- كان يشكّل خطرًا على بعض الأوساط الحاقدة. وقد عُرف أيضًا بـ"باتشا خان" أو "بادشاه خان" أيْ ملِك الرؤساء، وأُطلق عليه لقب "فخر الأفغان" اعتزازًا من بَنِي قومه به، وإنْ كان يَصعب حصر الرجل ضمن أُطر قومية.

وُلد في قرية عثمانزاي قريبًا من بيشاور، ولم تكن آنذاك حدود فاصلة بين ما يسمَّى حاليًّا بباكستان وأفغانستان. كان والده بهرام خان مالكًا للأراضي بمنطقة هشتنكار، وانتمَت عائلته إلى قبائل البشتون، ويسمَّون أيضا باتان. لهم لغتهم الخاصة، ويشكِّلون معظم الشعب الأفغاني، ويوجدون بكثافة في المنطقة القبلية شمالي باكستان، إضافةً إلى انتشارهم في

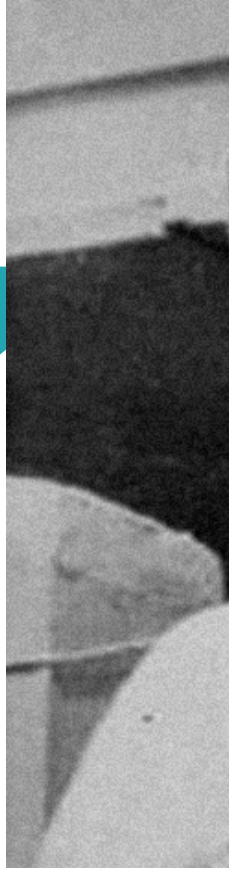

> إنها قناعتي العميقة: ما الإسلام إلَّا عمَلٌ ويقين ومحبة.

مختلف أنحاء شبه القارة الهندية. لقد الْتَحق عبد الغفار خان بحركة التحرر، التي أنشأها حاجي صاحب من تورانغزاي، ليؤسّس لاحقًا "جمعية الإصلاح الأفغاني"، ثم الحركة الشبابية "المجلس البشتوني" سنة ١٩٢٧. بدأ نشاطه السياسي سنة ١٩١٩ مع "رولات أكت" و"حركة الخلافة"، وأصبح قياديًّا فاعلاً في الحركة الغاندية التي اتسمت بالعصيان المدني واللاعنف. من سنة ١٩٢١ إلى سنة ١٩٤٩، اعتُقل عبد الغفار خان عدة مرات، وقضى سنوات في السجن. في عشرينيات القرن الماضي، أسَّس "خداي خدمتكار" أي "خُدَّام الله"، وهو جيش من المتطوعين المَنزوعِي السلاح تمامًا (حتى السلاح الأبيض). وقد اشتُهروا أيضًا بِاسم "أصحاب القمصان الحُمْر"، الذين كان لهم دور هامّ في الخدمة التطوعية الاجتماعية، والمصالحة والتوسط بين القبائل والأفراد، وحركة تحرير الهند بالأساليب اللاعنفية.

لم يحل التزامُه الديني دون إيمانه بالدولة العلمانية التي تُعامل مواطنيها بالمساواة، من دون التمييز بسبب الانتماءات الدينية أو الثقافية. ولهذا السبب، كان رافضًا وناقدًا للسياسات التي اعتبرها طائفية للرابطة الإسلامية (حزب سياسي مُدافِع عن حقوق مسلمي الهند وحليف لحزب المؤتمر في مناهضة الاستعمار، قبل أن يتبنى فكرة التقسيم بين الهند وباكستان)، وعارض بشدة فكرة تقسيم الهند. وهذا ما جرَّهُ إلى

مقاطعة الاستفتاء حول تأسيس باكستان. ومع اعترافه لاحقًا بشرعية الدولة الجديدة وكَونِه من مواطنيها، فإنه تعرَّض للسجن عدة مرات بسبب معارضته للحكومة بين السنوات ١٩٤٨ و١٩٥٦. وهكذا، يكون عبد الغفار خان قد قضى أكثر من ثلث عمره بين السجون البريطانية والباكستانية.

اِعتَبرت منظمة العفو الدولية خان عبد الغفار خان "سجين العام" لسنة ١٩٦٢. وفي سنة ١٩٦٩، دُعي إلى الهند بمناسبة مئوية المهاتما غاندي من أجل تكريمه. وفي سنة ١٩٨٧، قلَّدَتهُ الهند الوسام الهندي الأسمى المسمَّى بـ"بهارات رتنا". وأيضًا كرّمَته باكستان بإطلاق اسمه على مطار بشاور الدولي، وعلى جامعة بالمدينة نفسها، حيث حمَل كِلاَهما اسم "باتشا خان".

www.pintrest.com

أخواتي، أَشعُر بفرحة خاصة اليوم.
ففي كلّ مرة زُرت فيها الهند،
وشاهدتُ صحوة النساء
الهندوسيات والبارسيات (الزرادشتيات)،
تساءَلْت: هل يأتي يوم تَعْرف فيه
نساؤنا البشتونيات صحوةً مماثلة؟
لقد كان لديَّ هذا الرجاء منذ ذلك الحين.
والحمد لله. أرى اليوم رجائي يتحقق.
لا يميّز الله بين الرجال والنساء.
إنِ استطاع أحد أن يتفوّق على الآخر،
فمِن خلال العمل الصالح والأخلاق فقط.
إنْ درستَ التاريخ،
فستَرى أنه كان هناك العديد
من العالِمات والشاعرات.
إنه خطأ فادح ارتكبناه بامتهاننا للنساء.
إذا ما حرَّرْنا أرضنا،
فإننا نعِدُكنَّ بعزم بأنكن ستَحصلن على حقوقكن.
في القرآن، تَحصل النساء مثل الرجال
[على الحقوق نفسها].
إنكن اليوم مضطهَدات،
لأننا -نحن الرجال- تجاهَلْنا تعاليم الله والنبي.
اليوم، نتّبع العادات ونَقمعُكنَّ.
لكن بفضل الله،
أدرَكْنا أننا جميعًا مشتركون
في نجاحنا أو فشلنا،
وفي تَقدُّمنا أو دَمارنا.

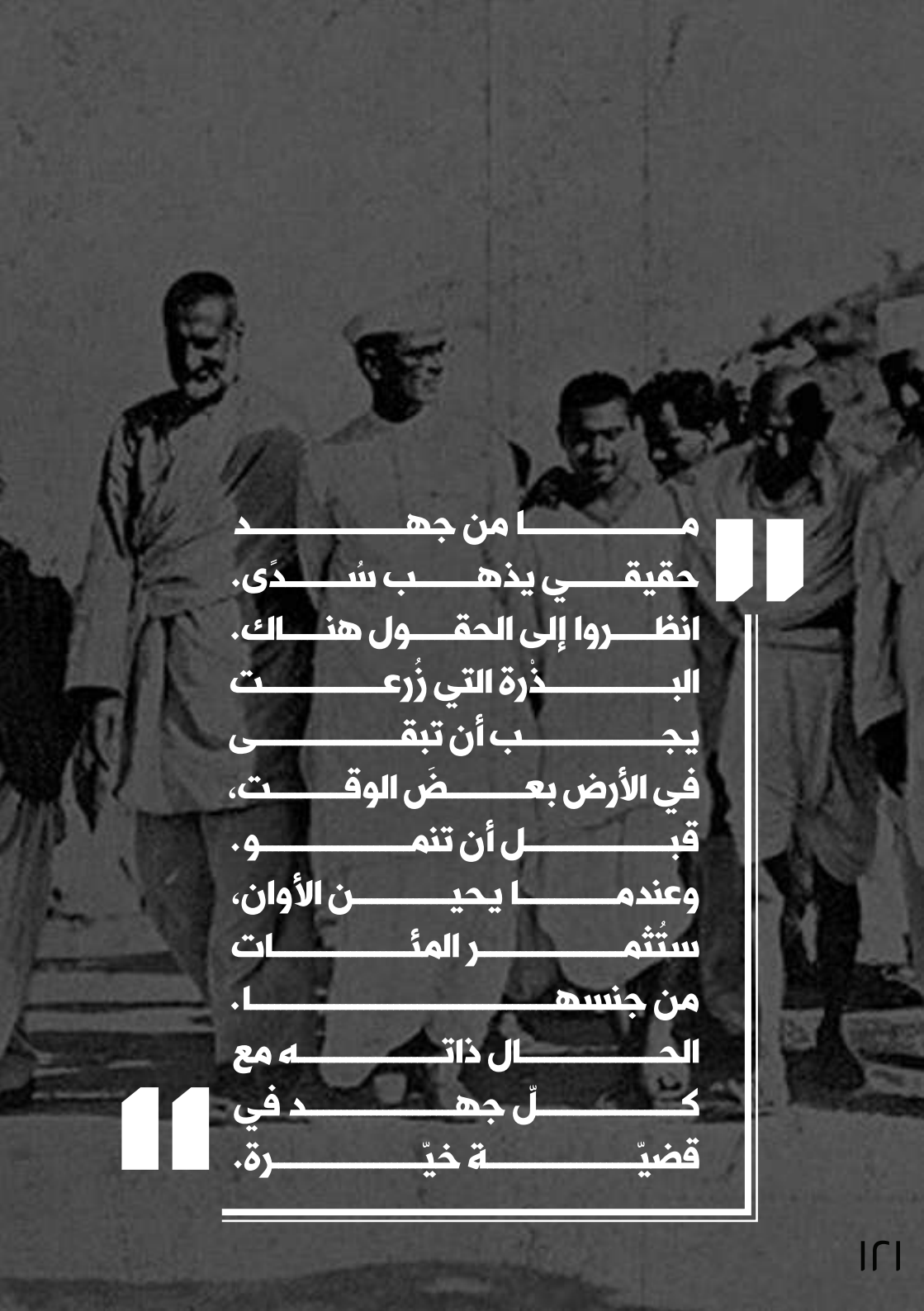

"ما من جهد حقيقي يذهب سُدًى. انظروا إلى الحقول هناك. البذْرة التي زُرعت يجب أن تبقى في الأرض بعضَ الوقت، قبل أن تنمو. وعندما يحين الأوان، ستُثمر المئات من جنسها. الحال ذاته مع كلّ جهد في قضيّة خيّرة."

فِكـــــــــــــــــره

إنَّ تبنِّي عبد الغفار خان لِلاَّعنف منهجًا في الحياة والعمل الاجتماعي والسياسي، قد سبَق لقاءه بالمهاتما غاندي، حيث استَوحى مبادئ اللاعنف من القرآن الكريم والسنة النبوية، مثلما استَلهم غاندي أفكاره من البهاغافاد غيتا[1] والتراث الهندوسي عمومًا. أيضًا ربطت عبدَ الغفار خان علاقاتٌ وطيدة بالمفكر الهندي المسلم مولانا أبي الكلام آزاد (تُوفِّي سنة ١٩٥٨)، صاحب تفسير "ترجمان القرآن"، والذي كان بِدَوره رفيقًا لغاندي في كفاحه اللاعنفي.

آثارُ عبدِ الغفار خان إنسانيةٌ حياتية أساسًا، إذ عُني بتربية الإنسان وتكوين الأجيال وبناء المدارس، خاصة للفتيات. فتعليم المرأة كان من بين أولوياته، حتى قبْل أن يلتقي بالمهاتما غاندي. أسَّس "خُداي خدمتكار" -حسب ما ذكَرنا سابقًا- حيث يُطلب من العضو الجديد المتطوّع في هذا الجيش، أن يُدلي بهذا القَسم، الذي يمثل المبادئ الأساسية التي تقوم عليها الجمعية:

> عندما تعُودون
> إلى قُراكم،
> قولوا لإخوانكم
> إن هناك جيش الله،
> وإن سلاحه هو الصبر.
> فاطلبوا من
> إخوانكم
> الانضمام إليه.
> تَحمّلوا كل
> الصعوبات.
> فإنْ تحلّيتم بالصبر،
> فإن النصر
> سيكون حليفكم.

١- بهاغافاد غيتا: أي القصيدة أو الأنشودة الإلهية، مَلْحمة شعرية مقدسة عند الهندوس، لغتها الأصلية السنسكريتية، وتتألف من ٧٠٠ بيت. يَرجع تاريخها إلى القرن الثالث أو الثاني قبل الميلاد، وإن كان يُعتقد أنها أقدم من ذلك بكثير.

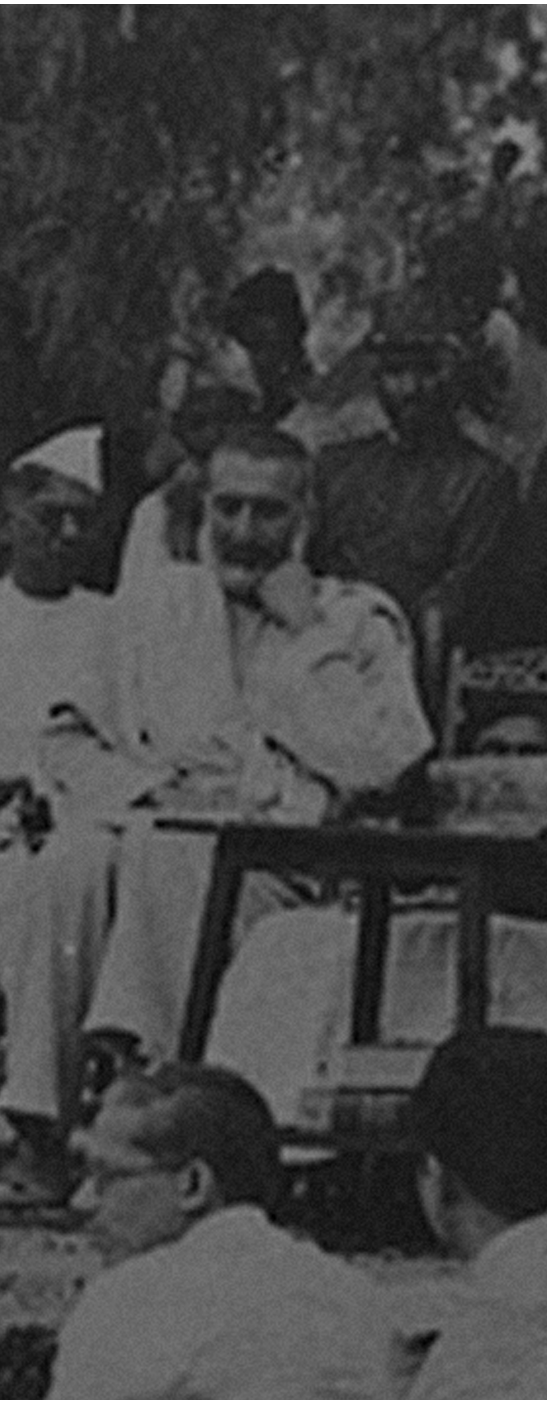

- أنا خادم (عبد) الله، ولَمَّا كان الله تعالى لا يحتاج إلى الخدمة، فإن خدمته تعني خدمة خلقه.
- أعِدُ أن أخدم الإنسانية بِاسم الله تعالى.
- أعِدُ بالكفّ عن العنف والانتقام.
- أعِدُ بالمغفرة مَن يضطهدني أو يعاملني بوحشية.
- أعِدُ بالكفّ عن المشاركة في الأخذ بالثارات والصراعات، وعن اتِّخاذ الناس أعداءً.
- أعِدُ بمعاملة كل فرد من الباتان (أي البشتون، إثنية عبد الغفار خان) بوصفِه أخًا وصديقًا.
- أعِدُ بالكفّ عن العادات والممارسات المضادة للمجتمع.
- أعِدُ أن أعيش حياة بسيطة، وألتزم الفضيلة، وأبتعد عن الشرور.
- أعِدُ بممارسة الآداب الحميدة والسلوك الحسَن، والابتعاد عن حياة الخمول والكسل.
- أعِدُ بأن أخصّص ساعتين في اليوم على الأقل، للخدمة الاجتماعية.

هذه الوعود والالتزامات، تحوَّلت في عدة مناسبات إلى أعمال لاعنفية، أدَّت أحيانًا إلى المخاطرة بالحياة أو التضحية بها. وهذا ما حدث عندما قُتل ما يزيد عن مائتي عضو من خدمتكار، في مظاهرات سلمية يوم ٢٣ نيسان/أبريل ١٩٣٠. وهو ما يُعرَف بمجزرة "بازار كسا خاني" في مدينة بيشاور، حيث تجمَّعوا من أجل إضراب عامّ. وقد استمرت المقتلة من الحادية عشرة صباحًا حتى الخامسة مساء، إلى حين تَمرَّد الجنود الهنود الذين كانوا يعملون تحت إمْرَة الجيش البريطاني، ورفضوا مواصلة إطلاق

سأعطيك سلاحًا، لا تستطيع الشرطة ولا الجيش مواجهته. إنه سلاح النبي، ولكنكم لا تَعْلمونه. هذا السلاح هو الصبر والعدالة. لا يمكن لأي قوة على وجه الأرض أن تواجهه.

يخشى الإنكليزُ البشتونيَّ اللاعنيف، أكثر مما يَخشون نظيره العنيف. كانت كل جهودهم في دفع البشتون إلى العنف.

النار. وقد علَّق عبد الغفار خان على هذه المجزرة بقوله: ''كل واحد من المتظاهرين العُزَّل أُصيبَ في صدره، ولا أحد منهم أُصيبَ في ظهره''.
في المدينة نفسها، وأثناء أحداث التقسيم سنة ١٩٤٧، اندفع حوالي عشرة آلاف من أعضاء خدمتكار، إلى الدفاع عن الهندوس والسيخ وممتلكاتهم في بيشاور. وقد انتَقل إلى المكان عَينِه عبد الغفار خان بصحبة غاندي، لوقف أعمال العنف. وهي ليست المرة الأولى التي يزوران فيها معًا منطقة مشتعلة لإطفاء نار الفتنة.

بقي عبد الغفار خان مُؤْمنًا طَوال حياته بِوَحدة الهند الكبرى، ورافِضًا لتقسيمها إلى الهند الحالية وباكستان ثم بنغلاديش، إضافة إلى أفغانستان، لأنه لم يَرَ ضرورة إقامة دولة خاصة بالمسلمين؛ حيث إنهم عاشوا دومًا مع الهندوس والسيخ وغيرهم، ولا معنى لإقامة دولة على أساس الانتماء الديني. يقول عبد الغفار خان: ''لم أتعلَّم العلمانية من بابو (أي غاندي). لقد وجدتُها في القرآن الكريم''. فقصَد أنه لا يوجد في القرآن أيُّ أساس للدولة الدينية الثيوقراطية، وأن الدولة التي تُحقِّق العدل وتُعامل مواطنيها بالتساوي، هي الدولة المدنية.

يلخِّص خان عبد الغفار خان الإسلام في ثلاث كلمات، هي: ''العمل، واليقين، والمحبة''. وهي مبادئ انعكست مباشرة على فكره السياسي، ونظرته إلى دَور الدين في الفضاء العامّ، حيث يمكن لأتْباع كل دين أن يُدْلوا بِدَلوهم في الحياة العامة للبلاد. وللإسلام دور في هذا المجال، خاصة بفضل

قيمتَي "الصبر" و"التسامح". لقد دافع عبد الغفار خان بقوة عن قيمة "التسامح"، بِوَصْفها إحدى القيم الأساسية للحياة، وأيضًا آمَن بوجود قيم أخلاقية مشترَكة بين مختلف الأديان. فمهمة الدين هي "التوحيد"، وليس "التقسيم".

"عندما يحصل الفوز بالحرية، ستَحصلون على حِصَص وأمكنة متساوية مع إخوانكم في هذا البلد. نحن مِثل عجَلتَين لعربة كبيرة. إنْ لم تكن حركاتنا معدَّلة ومتناغمة، فلن تتحرّك عربتنا أبدًا."

"لديَّ معيار وحيد، هو معيار التوكُّل على الله."

إنتاج مؤسسة أديان بالشراكة مع مؤسسة دانميشون

DANMISSION

المساهمون في كتابة الدليل

الدكتور عدنان المقراني

الدكتور زياد فهد

الدكتور عامر الحافي

روجيه أصفر

الدكتورة نادية الشرقاوي

راحيل دندش

إشراف

الدكتورة نايلا طبارة

أحمد ناجي